

(١) للتغابين : ١٦
(٢) الانفصال : ٦٦

٢٤. هل الاستدلال القرآني في قضية الألوهية على

الوجود أم على التوحيد ؟

إن الظن لدى يودع في أحد الاتجاه قد يفكر في أبيه عندما يكبر وقد يتحدث عنه ، ولكن لا يجري في خاطره أبدا أنه جاء الدنيا من علم ، أو ظهر على الأرض من غير أب !!

ولمعرفة في أغلب المصور بحيث من ربه لا ذكرت فيه زوايا انعطاف المرقن إليه ، فقد تميد أسما لا حقيقة له ، وقد تميد حركا موهم القمر والشمس ، وقد تميد صخرة أو تميد بقعة أو مثله بها ، وقد يحيى من يرضى هذه الآلهة للضرورة كلها ويكر أن يكون للوجود سببا !!

إن قضية الألوهية في التاريخ الإنساني يقتضيها قدر من الغموض ، ومعهمرة الأم ردت إلى الله كبر ، لم ترتب إليه أو عرفت عليه من طريق الحسابات ، أو الحسابات التي تنتمي إليه على نحو ما ، ويخيل إلى أن رضى عقيدة الألوهية من الأسس لم ينجم إلا بعد شيوخ لتدين الخواشي ، ورضى لعقل السجود فجور أو حوران أو أسانا ...

وكان هذا الرضى المطلق يقع على بيرة ثم شاع في عصرها الحديث ، مع التقدم العلمي واتساع تدبير معشوي ، وحيات المسلمين وبنائهم هذا فيها ولا انصفيها .

وحديث القرآن الكريم عن الألوهية يتم بالوضع الشديد ، فهو يفيض الشوكاه بعدة وجسم ، ويضي أن يكون هناك أحد فوق مستوى الألوهية لأن به بانه صالة خاصة ، لا ، وإياه واحد ، وكل ما عند عبدك ، فإن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا (٢٥) لقد أنعمناهم وعلمهم عبدا (٢٦) وكلهم آتية يوم القيمة قوما (٢٧) .

(٢٥) سورة الفرقان : ٢٤ - ٢٥

ومن الشاعرات التي انطلقت في ميدان الفصح أن هناك قوما أولئك لم سبحانه واليعرف في ديننا أن القرآن لا يثبت إلا بالقرآن الذي يقيد للعقيد ، وإن غير الواحد لا يثبت قرانا أبدا ، فالزم بأن قوما كان ، لم ربع كلاله لا يثبت إليه ...

والقرآن الكريم قد يفتح أحكاما جاءت في السنة الشريعة وذلك مثل فتح استقبال بيت القاسم في الصلاة باستقبال المسجد الحرام ، قال تعالى : ﴿ وقد تراءى طلب وتحيث في السماء لم يكن قلبه ترخا قولا وتحيث تحفر انفسهم انحرام رتبه ما كتم قولا ، ورحمكم شعرا ... ﴾ (٢٨)

واستقبال بيت القاسم لم يكن يعني قرأني ، وإنما كان يعلم إلى من طريق السنة التي يحيى إليها قلب الرسول الكريم ، ولم يكن تلك اجتهادا شخصيا ، قال تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من تتبع الزمير بمن يطلب على قبلة ﴾ (٢٩)

ومن قبل فتح السنة بالقرآن الكريم ، ومع تسليم الناس الوضوات إلى قریش ، وقد كان عبد المذنبية يرض على رد كل من آمن إلى مكة ، حتى وإن وله تعالى : ﴿ وأما جاءكم آياتنا فمنها نجات فيها نجات فاستجوبوا لله وأطيعوا أولي الأمر منكم ، ولا ترجعوا على أعقابكم ، ولا ينتم من بين الزمير بمن يطلب على قبلة ﴾ (٣٠)

(٢٨) سورة البقرة : ١٤٣ ، (٢٩) سورة البقرة : ١٤٤ ، (٣٠) سورة البقرة : ١٤٥

وخلال الحديث عن الوحدة ، وكثرة الحسنى ، وأرضاه العلم ، ونسبته !! استنباه العلماء حبه ، وقواه بفتح في شمس شرح حبه ، وقواه بفتح في شمس الحاحدين ، وبذلك تتماثل إذا نسق إذا

وهناك مسألة من الحسب المبرزة ، سألهم من يقين السجود والأرض تقوى من عظمهم تقوى الله تعالى ، فيكون (٣١) أنوجد العلم من عدم ، فهو يراه ويبدع أن العلم مخلوق أو يزد من العلم إلى علم ... إلخ ، إن الصغير لا يفتح شع العلم كان معلوما ثم غره للوجود من غير

والعلم من لا شيء ، ليس صلا دائما مغلول إلا انطلق عمل عالم ، وأما كان مستعصمين بهمة ، وهذا عمل جونا لك انجح إلى خيال بعيد ، ولكن أسأل : لم تعرف لها إلى العلم بهيات ، ألا يكر ولا أكيرا

الأمر حاسي غيا للشركا ، فإن الله يزعموا لا جداري شيئا ، وأصلهون بجوز غلظا شيئا ، والله عاقل كل شيء ، وروى ولا يسوع لأعداء ينتشر من القرآن هي حوضت الأحد وأورد والتفصيل والآية يتناول أروام انجلاء بما يدعيها ، وأن يدور

(٣١) سورة البقرة : ١٤٥ ، (٣٢) سورة البقرة : ١٤٦

وكما قال الإسكندر انطو... قال للناس: «انظروا إلى قُبُورِهِ وَإِنَّا أَقْسَرُ رَيْبِهِ» إِنَّهُ فِي ذَٰلِكُمُ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ^(١)

وما يعين على فهم الأسلوب القرآني أن نتذكر حقيقة فلسفية معروفة هي أن العلم ليس له من ذاته وجود إن وجوده طارئ عليه من الخارج؛ أترى الصباح الكهري ناتي عندما تغرب الزور فيبقى؟ إنه لا يبقى، أبدا من ذاته، لبد من تيار خارجي يسري فيه ليصبح إن معد فقط للاستقبال، والامتصاص ما يجت من جهة أخرى، كذلك الكون، إن وجوده، ذاتا وصفات معاشي عليه من أعلى، وإذا انقطع التيار الذي يمد خلاصه، واستخفى فلا أثر له، وهذا معنى قوله تعالى: «وَإِنَّا اللَّهُ بِسَبْكِ السُّمُورَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زُلْزَلْنَا إِنْ أَسْكَنُهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِذْهُ كَانَ حَقِيمًا غَفُورًا^(٢)»

وعندما يلت القرآن الكريم نظرا إلى آيات الله في الأرض والسماء وما بينهما، فهو يعطينا فكرة عن الإيجاد والإمداد معا، ولا بأس أن يضم إلى تلك إيماءا بأنه لله الواحد، وإن ما عداه من الهة مزعومة إنك مسين، «وَاللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَنْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيَّاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَسْبِّحْ لَهُ رَبَّ الْعَالِينَ^(٣)» هو الحي لا إله إلا هو خالق ومصوره مخلصين له الدين...^(٤)

هكذا اشتمل القرآن على دلائل الوجود الأعلى في ثنايا توحيد الله وتحميده، فانه اعظم وأبرز من أن يكون إثبات وجوده أمرا يقرب له حيوان، وكأنه موضوع يقتصر إلى البرهان.

(١) عق: ٢٤، ٢٥.

(٢) طبر: ٥١.

(٣) الانعام: ٩٩.

الغضبية، إنه يتيقن الملاقاة بالله على نحو يربط الناس بخلقه، ملك الاستماع والابصار والأعضاء مدبر الأمور كلها، الذي لا راد حكمه، ولا مهرب من قضائه، ولا استغنى لملحه، ولا مجز عليه.

ومن رحمة الله بخلقه أن يفتح عيونهم على آياته ليعرفوه من خلال نظرم في هذا العلم الذي يعشرون فيه...

يقول تعالى: «وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي آيَةٍ مُّؤَيَّدَةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ^(١)» الخلق الأولي فيها تأسيس لمقدمة التوحيد، والجملة الثانية فيها تقي حكايته الشركاء، والاية كلها تعيد للحديث عن محالي الوجود الإلهي في أفان العلم «وَإِنِّي لَفِي خَلْقِ السَّمُورَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافِ الثُّلُومِ وَالثَّقَالِ الْيَوْمِ خَيْرِي لِي الْبَحْرُ يَمِينًا يَفِخُ النَّاسُ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَاصَتْ بِهِ الْأَرْضُ بِعَدِّ مَوْتِهَا وَبِثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ^(٢)»

في هذه الآية تنبيه للمعلم إلى أن كل شيء في الكون يشير إلى سيده، ويدل على الخالق الكبير، وقد جاء الكلام على أسلوب السرد الجمل، لكننا نرى التفصيل في مواضع أخرى، تدبر قوله تعالى: «وَاللَّهُ الَّذِي يَرْفَعُ الرِّيَّاحَ فَيُعْثِرُ بِهَا غُيُوبًا لَيَسْطُرَ فِي السَّمَاءِ غُيُوبًا وَيَجْعَلُهُ كَمَا تَهْوَى الْأُفُقُ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَأُفَاقُ صَابِغٍ مِنْ بَيْنَهُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ^(٣)» وَإِنْ كُنَّا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَنَجْلِبَنَّ لَهُمْ^(٤) بعد هذا التفصيل لنزل اللبث إلى مرقبه بلهية بالغة تسمح رب العالمين يقول للإنسان: «وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي آيَةٍ مُّؤَيَّدَةٍ كَيْفَ يَخْفَى الْإِلَهُ كَيْفَ يَخْفَى الْإِلَهُ» بعد موعدها...^(٥) كانه يقول له: «إلى النتيجة الدينية بعد تجربة عملية تمت بين سمعه وعصرها هذه آثار الرحمة، وعلته آثار القدرة، وعلته مظاهر العلم. وهذه... إلخ، كل شيء يشهد الله ويوجه إليه...»

(١) الطه: ١٨٤.

(٢) الطه: ١٨٣.

(٣) الطه: ١٨٤.

(٤) الطه: ١٨٤.

(٥) الطه: ١٨٤.

٣٥ ما أهمية القصص في القرآن،

وهل لها أصل تاريخي،
وما الحكمة في تكرارها؟

لا بد من دراسة المأثري والتفريسي في أحداثه، فإن هذه الأحداث ليست ملكا لأصحابها، وإنما هي ملك الإنسانية جميعا، يدرسها الخلف ليعتبرا منها العبر، ويستخلصوا منها النتائج، ويصنعوا نصب آصيتهم وهم يخطئون الحاضر والمستقبل على سواء...

وظاهر أن سيرة الأفراد والأمة يخضع لسنن دقيقة، وإن ازدهار الحضارات وانطامها، وبقاء الدول أو فناءها لا يتم خطه حروما، وإنما يقع وفق قوانين صارمة، بل إن القوانين الاجتماعية لا تغل عن القوانين العلمية فقه وأطرنا، ومن ثم كان يحاجل هذه القوانين ونظم الآثار.

وقصص القرآن الكريم جزء من التاريخ المهم، ومعرفتها حصانة للباحثين لا يستغنى عنها فو لب، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ﴾ (١) وقد لام سبحانه العاقلان عن هذا التاريخ وما روى من مصارع الظلمة وملاك المفسدين ﴿أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَفْلَحْنَا فَخُفُّهُمْ مِنْ الضُّلُوفِ ۚ يَمُوتُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِرَبِّهِمْ أُولِي الْبَصَرِ ۚ﴾ وقال: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ رُسُلٍ جَاءَتْهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذِبُوا مِنْ قَبْلِ كَذَلِكَ يَقُصُّ اللَّهُ عَلَى قَوْمٍ الْكَافِرِينَ ۚ﴾ (٢)

وتشابه القوانين الاجتماعية والقوانين الكونية في عمومها وأطرافها على شتى الأمكنة والأزمنة، فتقارن الأجسام الظاهرية مثلا تشمل جميع الأبعاد والحدود، والاهتمام بالأمم لشيوع المفروض وفساد يتبادل شتى الأجناس والمعمور، وقد هدد الله العرب

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) ص: ١٦٨.

(١) ص: ٤٤.

بالصبر الكالج إذا بقوا على عبادهم ومكرمهم ﴿... وَلَا يَجْعَلِ الْمُتَكِبُ الشَّيْءُ إِلَّا فُتْنًا قُلْ يُبْدُونَ إِلَهُكُمْ الْأَوْثَانُ فَقَدْ جَعَلْنَا لَكُمْ تَبْدِيلًا وَلَنْ تُجِدَ إِلَهُكُمُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ۚ﴾ (١)

وسنن الله الكونية لا تخفى أحدا، وكذلك سنن التاريخية والحضارية، وهي مطبقة على المؤمنين والكافرين دون استثناء، وقد وقتت محبة أحد لأن المسلمين لم يلتزموا الصبر، بيد أن الهزيمة القارية لن تغير مستقبل الخلاص، وإن راحته مؤقتة ظروفا مساعدة. قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ نَحْسِكُمْ فِي الْأَرْضِ فَاغْبُورًا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ ۚ﴾ (٢) هنا يتبين أناس ومدى وموعظة للمتقين (٣٤) ولا غيبا ولا تحريرا وإنما الأغفلون إن كنتم مؤمنين (٣٥) إن تستصحبكم فرح فقد سن القوم فرح جهنم، تلك الأيام تباد لها بين الناس (٣٦).

وقد تضمن القرآن الكريم عدة قوانين اجتماعية وعمرانية حاسمة ساهمها في تضاضيف القصص التي ذكرها في خواتمها مثل قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ الْأَمْثَلُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۚ﴾ (٣٧) وقوله ﴿وَأَنْ مِنْ بَيْنِ رُسُلِهِمْ مَنْ لَا يُلْقِي اللَّهُ إِلَّا بِضِغْ أَخْرَافِهِمْ ۚ﴾ (٣٨) وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُضْرَبُ اللَّهُ الْفَقْرَ وَالْأَهْلَ قَالُوا الْوَيْلُ لِلَّذِينَ خَلَفُوا وَآيَا مَا يُفْعَلُ النَّاسِ فِيمَكُمْ فِي الْأَرْضِ ۚ﴾ (٣٩) الخ.

إن القصص اعراض سرور واجه للتاريخ الإنساني ليس الغرض منه الإلهام والتشويق بل الغرض منه التربية والتوعية، وتحديد المعاني بعد انتهاء أهلها لتكون عظة دائمة ۚ

وقد شاع أب القصة في عصرنا شيئا يستحق الدهشة، واستعالت الأيدي بروايات يفردو حاملوها ليقطعوا الوقت أو يلتذوا بحسن العرض أو جملة هذه الروايات من سج الخيال، وقد تكون ذات مغزى جيد، وقد تكون أمانة وضعية.

ولمؤن ضابط بين هذه الأقاصيص، وبين التاريخ الذي يعسمه القرآن الكريم ويفرد به الأبواب وليعثر لصاحب القصة برفع السيرة ونفى السيل، الذين يعبد بعبد.

(١) القصص: ٢٢.

(٢) القصص: ١٨٠، ١٨١.

(٣) زمر: ١٧.

(٤) ص: ٤٣.

(٥) يوسف: ٩٠.

والقصة في سورة طه انفردت بالحديث عن عصا موسى كأن موسى يمشي بها على غنمه ثم تحولت إلى قوة هائلة في يده كما انفردت بأدعية موسى وأجابه الله ... الخ .
وقد استطلت الحديث في سورتي البقرة والأعراف عن قصة بني إسرائيل ، ومع ذلك فإن النهج غير المنهج ، والتنازع غير التنازع ، وما اتفقت فيه السورتان جاءت صياغته على نحو يلائم البيئة المتخفية ، فالسورة الأولى مدنية والأخرى مكية ...
وشرح النواحي الفنية والموضوعية عن هذه القصة وحلها يحتاج إلى كتاب عن اليهود في القرن الكريم ، مع ملاحظة أن القرآن ليس كتاباً في فنيا في الجغرافيا أو التاريخ ، إنه يعتم بالمجانب الإنساني والاجتماعي وحسباً .

والحوار البهوت في أرجاء كل قصة يساق بحكمة إلى غاية محددة خذ مثلاً قصة شعيب مع ملين في سورة الأعراف ، لقد جاء فيها هذا الخطاب ناشد فيه شعيب قومه أن يستبد بهم الملوك في الخصومة ، ولا يحملهم لنزق على ارتكاب ما لا يليق ﴿وإن كان طائفة منكم أمراً بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاضربوا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾ (١) أي دعوا الأمر للرب ، ولا تتعجلوا المواقب .

فماذا كان الجواب؟ ﴿قال الذين الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ (٢) !!

وظاهر أن هذا السياق من قبيل إريك أسمى واسمعى يا جارة ، وكان النبي يقول للرب المناوئين له : احذروا مثل هذا المسلك في مصادرة الإيمان ومخاصمة أمه ، فعباه صيحة من السماء تترجم في دياركم هلكن كما حدث لقوم شعيب!! ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثين﴾ (٣) الذين كذبوا شعيباً كان لم يقولوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الغاسرين (٤) .

ولفت نظرنا في تكرار قصة أن القرآن الكريم يغلب النفس الإنسانية على شتى جوانبها ، ويعالجها طويلاً بالهدوء وطويلاً بالصراخ ، طويلاً بالشد وطويلاً بالرخاء ، والعرض أن تترك باطلها وتقبل على هدايا الله ...

(١) الأعراف : ٩١ ، ٩٢ .

(٢) الأعراف : ٨٨ .

(٣) الأعراف : ٨٧ .

(٤) الأعراف : ٨٨ .

عندما يقول الله لنبيه : ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلىٰ آلِكَ الرِّسَالَةَ مَا قُتِبَ بِهِ فُؤَادُكَ وَجَعَلْنَاكَ فِي هَذِهِ أَلْفًا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) فهو يقول ذلك في أعقاب سرد الواقع لا ريب فيه ، فقد ذكر في هذه السورة قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى مع أنهم التي ظهرت في عصور متعاقبة ، واستلهمتها أنواء التكايب والكابرة حتى أهلكهم أمة بعد أخرى .

وهو يحكي ذلك إلهاماً للحرب المستكبرين وتسلياً للنبي وقسوة لهما ، وفي موضع آخر يقول له : ﴿وَلَقَدْ كُتِبَ لَكَ مِن قَبْلِكَ قَصُورًا عَلَىٰ كَذِبٍ وَأَؤَدَا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرًا وَلَا مِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ (٢) فإين موضع الخيال في هذه الواقع؟؟ وبعد أن قص الله سبحانه قصة يوسف ، وشرح أطوار حياته منذ اختطف إلى

أن صار ملك مصر ، قال عنه وعن غيره من المرسلين : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ (٣) فإين موضع الخيال هنا؟

إن اتهام القرآن بأنه يعرض خيالات فنية أو يبرز في سياقه بين الواقع والخيال اتهام لا مسأله ، وهو في نظرا بلاهة نشأت عن اتباع المشركين! والمشترون يحسون ما في كتبهم من غفلة وعوج وبعد عن الحق ، ويريدون الإيهام بأن القرآن لا يزيد على غير ما كذب لا يزوج عند عاقل . !!

ومعلوم أن القصة واحدة قد تتكرر في عدة سور ، غير أن هذا التكرار صوري ، فإن كل قصة تختلف عن الأخرى ، إما في العناصر الجوهرية التي تتألف منها ، أو في طريقة العرض الذي يناسب مقتضيات الأحوال .
فقصة موسى وبني إسرائيل في سورة «غافر» انفردت بالحوار الطويل للرجل المؤمن الذي يكلم إياه ، بل هو العصر البارز فيها .

والقصة نفسها في سورة «القصص» انفردت بتفصيل السبب في خروج موسى إلى أرض مدين وزواجه هناك .

والقصة في سورة الكهف انفردت بقاء موسى مع أخضر هذا اللقاء الشير المستغرب ..

(١) يوسف : ١١١ .

(٢) الأعراف : ٩٢ .

(٣) يوسف : ١١١ .

٣١ ما تفسير الآيات التي قد تصف الله سبحانه وتعالى وصفا ماديا؟ مثل ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾

جلست يومًا أفكر: ما ألبا بين الناس؟ قلت: واحد من ألوف مؤلفة تسكن هذه الأرض، سالت مرة ثانية: ما ألبا بين من سكنوها منذ الأزل ومن يسكنونها الآن للمرة؟ شعرت بأني أفتهم، وأن وجودي يفتهم!

سالت مرة ثالثة: ما ألبا بين شئين للمعلوم؟ إن أرضنا التي نحن ضحايا ذرة محفورة بين أسراب لا تحصى من الكواكب القابعة والدوارة، وما يعدر العلماء ألبا على معرفة حدود هذا الكون، ولا أن يعرفوا ما يخرج به من أجسام...
وشعرت بأني أزداد تضائلًا. ١. قلت: يجب أن أعرف قدرتي، ولا أفتهم وحدي، إن الفرد جبهة عليه قبل أن يكون جبهة خلقية...

ورأيت بعض الخشرات السارحة في عالمها الخاص بها، قلت: أأدري عن عالم الإنسان شيئًا؟ أعرف ما يحول في فكره؟ أعرف ما يبحث من تضايلا وما يقرا من كتب؟ كلا أأني ألبا لها هذا؟

قلت: إن علي بحقائق الأروية كعلم هذه الخشرات بحقيقتها، ينبغي أن أعرف قدرتي ولا أفتهم حدي! إنني فقط مغموصة في مساحات ريفية من الزمان والكان، كيف تحاور ظفري روعة أن تستوعب البحار والفيطات وتشرط على اللجج والألوان؟

لأرجت مع ألبا القاسم القشيري أن أحي ربي بهذه الأبيات:
وكان كل لسان عن معاليه
يا من تقطر شكري عن ألباه
وجوده لم يزل قوة بلا شبه
لا أفسر عقله، لا أفسر ياققه
لا أعدد يحصيه، لا أعدد يديه
لا أحو أن يحصره، لا أحو أن ينصره
جساده أرا من لا زوال له
وملكه دال لا شيء، يشبهه !!!

انظر مثلا إلى قصة مودع عاد، إنك ترى هوكا في سورة الأحراف بيتا هادئا طويلا الآية مع ناس لسيه بالسيران الهالجة ﴿وإلى عاد أخاهم مودعا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة﴾ إن ألبا ألا فتفرون؟ ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجر إن أجزئي إلا عني﴾ الذي تفرقي أفلا تفطنون؟ ﴿وإنا قوم اسعفوا ربكم ثم فربوا إني أبعث السماء عليكم مددًا رأيتكم قوة إني فربكم ولا تتكلموا بحجرب﴾ ١١٢

فأنا تأملت في القصة نفسها عندما تعرضها سورة هود وجلت لشيء الخليم بينما مبدئًا بربوبية قومه وحسما في كنف كذبهم على الله ومبتذرا بسوء الحال إن هم يترا على جبروتهم ﴿وإلى عاد أخاهم مودعا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة﴾ إن ألبا ألا فتفرون؟ ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجر إن أجزئي إلا عني﴾ الذي تفرقي أفلا تفطنون؟ ﴿وإنا قوم اسعفوا ربكم ثم فربوا إني أبعث السماء عليكم مددًا رأيتكم قوة إني فربكم ولا تتكلموا بحجرب﴾ ١١٢

وتفسر هذا أن لقاء أي شيء مع قومه لا يقع مرة واحدة، إنه لقاء يبقى عشرات السنين، وما يسور بينهم وبينه من حديث لا يأخذ صورة واحدة، بل يأخذ صورة كثيرة!

وحسب لو وقع لقاء واحد - كما حدث لوسي مع السحرة - فإن كل ما دار من حوار لا يثبت في عرض واحد، بل يفرج أجزاء الجوار على ما تقتضيه المناسبات المتغيرة...

ومن ثم كان القصص القرآني مجالا رحبا لمعالجة النفوس والجماعات من عليها المروية بما يلائمها من اللواحي الخارجة، فسبك القصة ملحوظ فيه نقل ما يفيد الناس من بدم الوحي حتى تمام الساعة!

ليس المهم تحديد موكب أو وفاة، ليس المهم تحديد موقع، أو حتى تحديد الشخص! فما يعيننا أن نعرف هوية، ذى القربين، أو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسمى! المهم تقديم الشفاء النفسي والاجتماعي من خلال تاريخ صادق وقصص حق.

إن القرآن الكريم جسم طيش الخيال عندما قال في التبرية والتجريد ﴿ليس كله شيء وهو السميع البصير﴾ (١) ونحن قد نجد قد نشم لعان البرق، وقد يمر بعقلنا طيف عن أسجاد الأرومية، لا ندري ماأناه، ومع ذلك فإن هذه الحطرات العابرة لا تفتني شيئاً، بل هي كما قال أبو الفتح البستي:

كل من يرتقى بوسفس من جلال وقسرة وسناء

هالدي اسد البرية أعلى منه، سحابة مبدع الأشياء

إنني أمد الباحثين في ذات الله مروضاً فحنن - على نقاهتنا - لا نعرف من نحن؟ وكيف نعرف الذات العليا؟

والأنهام البشرية في ذات الله تفاوتت تفاوتاً بعيداً بين التجسيد والتجريد، ككتاب العهد القديم صوروا الله يميناً ويثماً ومقعداً وياكل وشرب وقصير إلى جانب ما له من صفات ريفية.

من أغرب الصور أنه جلس مستلقياً على قذاه متدحفاً على الأرض واضعاً قدمًا فوق أخرى!

وفلاسفة اليونان المأثرون - في مقدمتهم أرسطو - صوروا الله منزهاً عن كل شيء، حتى عن الصفات التي يعلم بها ويقرر بها، فهو عالم بذاته قادر بذاته وبالغوا في التجريد حتى كان الله معني لا ذات!

فإذا تجاوزنا الأنهام البشرية إلى الوحي الأعلى، واستمعنا إلى القرآن الكريم وجدنا أوصافاً تقرب معنى الأرومية إلى الحس الإنساني من غير تجسيد، وتبلغ بها كمالاً لا يتناهى من غير تجريد...

المسلم يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمْ مِنْ تَوْسُوعِهِ نَفْسًا وَمِنْ غَيْرِهِمْ﴾ (٢) فيفسر بأن الله قريب منه، مطلع على دخيله، ومع أقرب إليه من حبل الوريد (٣) فيفسر بأن الله قريب منه، مطلع على دخيله، ومع ذلك فهو يعلم أن الله مستور على عرشه محيط من وراء خلقه.

إنه يحس بالله دون أن يجسده، ويتبره الله دون أن يفكره...

والإيمان الحقيقي أن نؤمن بأن أصابع القدرة هي التي تحرك قلبك فيصدق، ومع ذلك فتدعيضاً!

وماذا قلت؟ أصابع القدرة! هل القدرة أصابع؟

(١) البقرة: ١١٠. (٢) ق: ١٦. (٣) البقرة: ١١٠.

(٤) البقرة: ١١٠.

(٥) البقرة: ١١٠.

وهنا ندخل في مبحث قديم، قنله المتقدمون قنعراً وجداً... وانقسموا فيه فرقاً... أما أنا فأفسر به سر الكرام وقد قلت في كتابي مشكلات... أنا مع السلف من غير تجسيم ومع الخلف من غير تعميل.

أقصد كان طبيعياً أن نحى، في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة جميل يتعجب العقل النوص في معناها مثل: ﴿فَاتَّبَعْنَا نَبَاهُ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (١)، ﴿مَا مَكَانُكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيْدي﴾ (٢)، ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (٣).

وقد نبه القرآن - منذ أنزل - إلى أن هناك آيات ينبغي التسليم بها، لأن حقيقتها فوق الفكر العادي، ومن التبع إكثار اللجاجة حولها... لكن العناد والفرغ خلقا طوائف لا شغل لها إلا هذا اللغو، فكانت بلاء على الأمة ولا تنالها.

إن اللغات على كثرتها من وضع البشر، وقد ألفوها ليعبروا بها عما يريدون من معان، وما يستخدمون من أدوات، وشؤون الأرومية فوق اللغات ونفوق واضعها، فإذا أهملنا الله بلغاتنا شيئاً يتصل بذاته العليا فعلى أسلوب التنزيل والتعريب.

وإذا كان عبد الله بن عباس يقول: إنه ليس في الدنيا من أوصاف الجنة إلا الأسماء، يعني أن الحقائق لم ترها عين ولم تسمعها أذن، فكيف بالحديث من رب العلم وخالق الجنة والنار؟

إن الرغبة في فهم حقيقة العرش وحملته! أو كيف يجري الله في ظلال من الغمام، وكيف يحيى والملائكة صفا صفا، هذا كله نهم مردود، ومجازاة الداهب فيها مقبوه، ومن الخير أن يعرف العقل أين ينتج فيضه، وألا سكن!

وقد كنا ونحن طلاب ندرس معنى السلف وأطلق بهوه، وبغته لاحظت في أيامنا تخالفاً بين ناس يتبنون السلف، وناس يتبنون الخلف، والأمة الإسلامية تكاد تنقطع من الإحياء ومن ضربات الأعداء، فوجدت لا ذخائر الخسرة في هذا الوقت العصيب.

وقد رأيت أن أكتب كلاماً للدكتور الشيخ محمد عبدالله دراز في الموضوع لعله يخفف من هذا البلاء. قال: «إن كلمة «اليد» في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ السُّبُحِ﴾ (٤) أو كلمة «اليمين» في قوله: ﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ (٥) فسرها

(١) البقرة: ١١٠. (٢) البقرة: ١١٠. (٣) البقرة: ١١٠. (٤) البقرة: ١١٠. (٥) البقرة: ١١٠.

(٦) البقرة: ١١٠. (٧) البقرة: ١١٠. (٨) البقرة: ١١٠. (٩) البقرة: ١١٠.

(١٠) البقرة: ١١٠. (١١) البقرة: ١١٠. (١٢) البقرة: ١١٠. (١٣) البقرة: ١١٠.

(١٤) البقرة: ١١٠. (١٥) البقرة: ١١٠. (١٦) البقرة: ١١٠. (١٧) البقرة: ١١٠.

(١٨) البقرة: ١١٠. (١٩) البقرة: ١١٠. (٢٠) البقرة: ١١٠. (٢١) البقرة: ١١٠.

(٢٢) البقرة: ١١٠. (٢٣) البقرة: ١١٠. (٢٤) البقرة: ١١٠. (٢٥) البقرة: ١١٠.

(٢٦) البقرة: ١١٠. (٢٧) البقرة: ١١٠. (٢٨) البقرة: ١١٠. (٢٩) البقرة: ١١٠.

(٣٠) البقرة: ١١٠. (٣١) البقرة: ١١٠. (٣٢) البقرة: ١١٠. (٣٣) البقرة: ١١٠.

(٣٤) البقرة: ١١٠. (٣٥) البقرة: ١١٠. (٣٦) البقرة: ١١٠. (٣٧) البقرة: ١١٠.

(٣٨) البقرة: ١١٠. (٣٩) البقرة: ١١٠. (٤٠) البقرة: ١١٠. (٤١) البقرة: ١١٠.

(٤٢) البقرة: ١١٠. (٤٣) البقرة: ١١٠. (٤٤) البقرة: ١١٠. (٤٥) البقرة: ١١٠.

(٤٦) البقرة: ١١٠. (٤٧) البقرة: ١١٠. (٤٨) البقرة: ١١٠. (٤٩) البقرة: ١١٠.

(٥٠) البقرة: ١١٠. (٥١) البقرة: ١١٠. (٥٢) البقرة: ١١٠. (٥٣) البقرة: ١١٠.

٢٧. كيف تفسر ما ذكره القرآن من أن السموات سبع والأرض سبع مع حقائق العلم التي ترى أن الأرض واحدة والسماء فضاء؟

ذكرت في أكثر من كتاب أنه يستحيل أن يقع تناقض بين الدين والعلم ، وأن العلم الصحيح وصف دقيق ، جزء من ملكوت الله ، والدين الحق توجيه أت من عند الله خالق هذا الملكوت ، فكيف يحدث بينهما تناقضاً ؟

ما أتنا التساؤل يرجع إلى أن الناس سمع شيئاً ما ديناً ليس بدين ، أو سمع شيئاً ما علماً ليس بعلم ، وقد يكون مثار التساؤل خطأ شخصياً من أحد التكلمين في الدين أو أحد التكلمين في العلم ، وما أكثر أخطاء الفريقين !

قال لي أحد الناس : ثبت أنه لا حياة إلا في أرضنا ، وأن الكواكب الأخرى ميتة لا حياة فيها قلت : هذا التعميم خطأ ، يمكن أن يقال : لا حياة بشرية ، أو لا حياة نباتية ، أو لا حياة لكانات تعتمد على النفس وتخرج عن الوجود في موجات حرارة معينة !!

ومن قال : إن الغزوات كلها على غرارها ؟ وما أنفذهتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت صانعاً العظمى عقداً ؟^(١) أيها جراه أن يحدث بعض الناس بسم العلم فيقتل بأهلهم ، ويبنو كما يبنو لعاد : هناك مثليون في كراهية انقيادها

قال : يعني أن هناك حياة في الكواكب والنجوم ؟ قلت : لا أسمع أن هناك حيوات أخرى ، وأستبعد أن تكون الأفلاك حجارة صماء موجة تسبح في الفضاء ، ليس على أيديها إلا الخراب !!

إن علماء الفلك مثقفون - تقريباً - على أن أرضنا تشبه حبة رمل في صحراء مترامية الأطراف فهل هذه الحبة وحدها التي سمعت بالعقل - أو شقيقت - رأياً بنية الجبال فلا حراك ولا فكر ولا قيمة ... هنا بعيداً !!

الذي أسمع به من كتابي أن هذه الأفلاك مشحونة بكائنات ، رابعة ، تسبح بحمد الله وترضى لسكان الأرض ، وتأسى لآسائهم ومخاصيهم ، وتسال الله لهم المغفرة ،

(١) الكهف : ٥١ .

السماء المتأخرون بأنها تعنى القدرة ، وهو استعمال مجازي مشهور يقال لا يد لي بكلمة ، أي لا قدرة لي عليه ، أما السلف الصالح فقد اشتهر عنهم لا يؤثرون هذه الظواهر بل يأخذونها على الحقيقة . ولواقع أنهم لا يعمون أصل التأويل ، ولكنهم يسلكون في تأويلها مسلكاً علمياً ميتاً يدل على علو كبرهم في الفهم ، وأنا أحب أن أصرح لكم لأنه يتفقكم في مواضع كثيرة .

قال : وإن لا طقت إلا التامعة على مخالفتها تعالى للحوادث ، كان هذا قريبة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي المعروف لنا ، فإذن هي مصروفة عن هذا الظاهر ، وكأنه يراد بها معنى مجازي ، لكننا لم نقيم لنا قريبة معينة على تحديد هذا المعنى في أغلب الآيات ، هل المراد به القدرة ، أم الإرادة ، أم صفة لا تعرفها أم ليس هناك مجازي في التوريط بشاربه إلى صفة معينة رأينا في كلام تلميذ لتربية الحياة في التفسر ؟ كل ذلك ساذج في النظر ، وليس ثم ظلم بين واحدًا بخصومه ، لذلك رجحنا أن نقف حيث وقف بنا اللسان ، فثبت له تعالى ما أرادته من كلامه على الوجه الذي أرادته مع تزيينه عن المعنى الذي نالقه من صفات الخلقين !! .

قال : قورون من هذا أن السلف يجوزون المعنى الذي ذهب إليه المتأخرون على أنه احتمال يحتمله الكلام ، ولكنهم لا يلتزمونه التزاماً ، لأن القول بالانقياد قول بغير دليل ، من أجل ذلك سكتوا عن الخوض في تحديد معاني هذه الظواهر ، واكتفوا بعناها الإجمالي المعروف عن الظاهر ... أما طريق الخلاف - وهو الخوض في تحديد التأويلات - فإنا الجامح إليه - والله أعلم - ظهور بدع التشبه والغشمة وغيرهم ، فأرادوا سد باب الإبهام ، ودفع اليراس من العام ، لكيلا يخرجوا من دائرة التنزيه ، ولا يحوطوا حول التشبيه جزأهم الله خيراً بما قصدوا ، وبغفر لهم غفيرة ما جحدوا .

قال : وجهته القول أن طريق السلف هو الايقن بالعلماء ، وطريق الخلف أصح للعلوم وأنصاف الروام !! .

وأرى أن كلام الشيخ الجليل فيه خير كثير ، أتى في دروس وعطائني أتبع منهيب السلف ، وعندما أجادل أهل الكتاب والمؤمنين أتتبع بجاهت الخلاف ، وفي كل الأحوال أرضى بحجود الغلاصة ، ونجسم اليهود والنصارى ، ومن تأثر بيؤلاً وأرباكاً من صفات التفكير ..

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ السَّمَوَاتُ يَنْصُرُنَّ مِنَ الْوَقْتَيْنِ وَلَهُمَا جِوَارِحُونَ بِحَسْبِ رِزْقِهِمْ يُسْتَغْنَوْنَ عَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (١) قال تعالى أن السموات السبع هذه الأدلة قلت لا أجزم بشيء من هذا، ولا العلم يجوز هو الآخر بشيء عن حقيقة الفناء، وطبقاته المتأخذه في القيوب، إن موضوع العلم هو الأبد، وما تولد منها، فإننا اتصل الأمر بشيء وراء المادة وقف بحته، وبالتالي لا يذكر العلم شيئاً يوقف بأنه يناقض الدين..

الذي أراه، أو أحس به أننا نتحرك في إطار معين، إذا تجاوزناه إلى أعلى أو إلى أدنى لم نصل إلى نهاية، في عالم العدد نحن نتحرك داخل مجموعة من الأرقام، فقول هناك نهاية للعدد التصاعدي، وحل هناك نهاية للعدد التنازلي؟ لا حدود هنا أو هنا، لا نهاية لضاعافات الأرقام من فوق، ولا لاجزائها من تحت!! وقد عشنا داخل ما أنتج لنا، وتركتنا الفكر فيما وراء ذلك!

إن اللاهية يعرّفها لا أول له ولا آخر، يعرفها الله وحده، ونحن تلقى إليه السلم فيما نجز عنه ونستريح!!

لا ريب أن العلم للمادى تقدم في عصرنا تقدماً عظيماً، ووصل إلى كدوف باهرة، وأريد أن أقول أنني استغنت من هذا العلم في دعم إيماني، وأنه زادني إجلالاً لربّي! إن ظلال الأشياء تمتد وتتكمش في أثناء النهار تبعاً لدوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، هكذا قرر العلماء، معنى هذا أن ظلي أنا، وظل داري، وظل عمود الهاتف أمامها، هذه الظلال تتبع حركة طوليها في الفضاء، مائة وخمسون مليون كيلومتر هي مسافة ما بين الأرض والشمس!

قلت: ما أعظم الترابط على بعد الشقة - بين الأرض وأسمها، وما أذل طول الظلال وقصرها على عظمة مشيبتها وساحبها! وظلّرت الآية الكريمة ﴿وَأَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يُتَّبَعُ ظِلَّاهُ مِنَ الْبَحْرِ وَالْقُنَّاتِ سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ خَاوِرُونَ﴾ (٢) ثم تلوّث ما بعداً ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْكَرُونَ﴾ (٣) يخافون ربهم من فوقهم ويقتلون ما يُزَكُّونَ ﴿١٣﴾!!

إن الأسرة الشمسية التي تضم أرضاً محترق على نوع من الحياة فيه صلاحية معرفة الله، والاستقامة على هداه، ونحن البشر نقدر على ملاحظة آثار القدرة العليا فوق أرضنا المخلدة، إن ظلال الأشياء الهائلة مع الريح، تقصر حيناً وتطول (١) السورى: ٥٠ - ٤٨ - فصل: (٢٠: ٤٨)

حيناً، هي أثر إشعاع قادم من مسافة ١٥٠ مليون كيلومتر ضيقته بالشعر والإصبع حكمة دقيقة، يدعي أن تكون هذه الأشياء كلها ساجدة لن أقدّمها وأدامها.. فهي طوعاً أو كرها تسير وفق مشيئته... هل يمكن أن تتلاشى هذه الكائنات أن يعرف بعضها بعضاً من يدري؟ قد يقع ذلك ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ فِيمَا هُوَ عَلَى جِهَتِهِمْ أَفَأَنْتُمْ أَقْبَلُ قِيَمًا﴾ (١)

هناك أمر مستيقن أن بنى آدم مجموعون لربهم لا ريب فيها وأن هناك جثّاً سوف يحاسبون مثلنا لأنهم داخل دائرة التكليف، أما ما وراء ذلك فلا ندره ولعله لا يعني.. اللهم أن هناك سموات معمورة بخلائق أخرى... وفي الحديث وأطقت السماء وحتى لها أن تنطق - أي ضجبت من أوجعها..

إن السموات حق، ولا تعرف كنهها، واللائكة حق، ولا تعرف كنهها... ولم تكلف بذلك، وليس في العلم ما يتأني لذلك! بل إن الملائكة - كما أئاد الدين - موجودة بين الناس، وهي تؤدي وظائف منوطة بها في الإحياء والإمامة والمراقبة والتسجيل والإلهام والتخليل!!

العلم المادى لا يدري ذلك، وليس في حقائقه ما يناقضه، وأقنع بعض التثمين إلى هذا العلم أنهم يريدون بالنطق المادى أن يفهموا ما وراء المادة، ألا أنكروه وتلك المحادثة لا يقرها العقلاء!

لما الكلام عن الأرض والأرضين فالسؤال يشير إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتُرَّبُّ الْأُمْرُ إِنْهُمْ يُعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٢) وقد تسامل القسرون: هل المراد مثلهم في العدد؟ أم مثلهم في الإيجاد؟

والعلماء الكهنيون يرون أن الأرض ولداً منها من المجموعة الشمسية كانت سدنياً ثم انفصلت أجزاؤه على النحو المعروف الآن، أي أن أصل الخلق واحد. وأرجح هذا، فإن الأرض لم تكن في القرن الكريم إلا مفردة، أما السماء فقد جمعت كثيراً جداً..

وقد يكون المقصود من تعدد الأرضين كثرة طبقات الأرض، أو ما طراً على وجهه (١) السورى: ٢٩ - فصل: (٢) الظلال: ١٢ -

٢٨. هل تم جمع القرآن بطريقة تدحض كل شك؟ وكيف تم جمعه؟

يوجد فارق ضخم بين تاريخ الإسلام - من نشأته الأولى - وتاريخ الدين السابق عليه ، أعنى اليهودية والنصرانية ... إن الإسلام تحول على عجل إلى دولة قائمة لها سلطات وطنية ، أما النصرانية فلم تقم لها دولة إلا خلال القرن الرابع لوجودها ، وإذا كانت اليهودية قد دار لها جيش ووجود سياسي على عهد مبكر ، فإن كيانها قد تلاشى كل التلاشى بعد قليل ، وضاعت مقدراتها كلها .

إن هذا الفارق كبير بين الإسلام وغيره يفسر كيف بقى كتاب الإسلام مصوناً ، وكيف تعرضت كتب أخرى للعوائى للالتحق .

ظل النبی ﷺ يتلقى القرآن الكريم في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة ، كان كل حرف ينزل يصح الخفظة في قلوبهم وسجله الكتبة في صحفهم ، وكان هذا القرآن معروفاً للعلم والصدق أما المؤمنون فهم يستعملون منه النور الذي يعيشون به ، وأما الكافرون فقد شد انتباههم كتاب يعاجم آلهتهم ويتنقض موارثهم ويشتر دهرتهم .

حاولوا أولاً التهوين من شأنه وقالوا : ﴿ لو نشاء قلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ (١) .

ثم تواصلوا بانتمال الضجيج لدى سماع ﴿ وقال الذين كفروا لا تشعروا بهذا القرآن وأنمو فيه فلعنكم نفوسكم ﴾ (٢) ولعمري إن هذه لمي الهوة النفسية المروعة ، أن تتخاف سماع كلام معين لانه يعيدك!

ثم جاء التحدى البالغ لهم : ﴿ قل لبي اجتمعتم الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ... ﴾ (٣) .

(١) الأنفال ٢٨ .

(٢) صلت : ٢٦ .

(٣) الإسراء : ٨٨ .

الأرض من تغيرات؟ والعن الأخير ساوونى وأنا أقرا في علم والجيولوجيا هذه العبارات الطل أحدث فروع هذا العلم وأخطر أثرها وجيلوجية ، الأراج المتحركة ! وهي التي أسفرت عنها دراسة انتقال موجات الزلازلة فقد بينت إلى حد بعيد أن القشرة الأرضية التي يتراوح سمكها بين ٤٠ و ٦٠ ميلا ، والتي كنا نظنها ثابتة ، تتكون من مجموعة من الأراج أو الدروع تنطلي سطح الأرض ، بما فيه قاع المحيط ، وهي في حركة دائمة بطيئة لا تتعدى نصف بوصة في العام الواحد!

وهي إما متباعدة أو متقاربة أو متحاكة جنباً إلى جنب ، ما نتج عنه خلال الأحاب الماضية ، إن مايفوت بالقطب كان صحراء ، وما كان جنوباً صار شلالاً ، وأن الوضع الحالي للقرارات والمحيطات غير مستمر ! بل إن الصخيرات الطمعية تفرق في باطن الأرض على خط نشأة الأراج القديمة ، لتصهر مرة أخرى - مع شدة الضغط وارتفاع الحرارة - ثم تعود إلى سطح الأرض مع تغيرات البراكين ... (١) .

وما دمتنا نتحدث عن العلاقة بين الدين والعلم فلنفرق في نوعين من المعرفة الدينية ، هناك أحكام مقطوع بها في الدين كالإيمان بالله الواحد ، والصلوة له ، وانتظار لقائه الحسلي فهذه أحكام يستحيل - كما قلنا آنفاً - أن يوجد في العلم ما يكذبها . أما وجهات نظر الفقهاء في قضية ما وتفاوت تفسيرهم لنص من النصوص ، فهذه أحكام ظنية يكتنفها الخطأ والصوراب ، ولا يعتبر أحدها الرأي الرسمي للإسلام ، إنه رأى صاحبه ، والحق العلم المادى أم خالفه ...

ومن هذا القبيل مبررات أحد التي لم تبلغ حد التواتر ، فهي ظنية الشبوت ، يعمل بها في الفروع ولا تنبئ عليها عقائد ...

والأمر في ميدان العلم كذلك ، فهناك مقولات علمية مستتبقة لم يوجد في الإسلام قط ما يخالفها .. وهناك نظريات شبه الاجتهاد الفقهي عندنا ، لا يمكن التعامل عليها في التسليم المطلق بها ، وعسى أن ينقض البحث فيها اليوم ما أبرم بالأمس ، وأن يهدم القيد ما بنه اليوم .

هذه النظريات المأتممة لا تترك من أجها رأياً لفقهي ، ولا حديثاً أحاداً ولم؟ وانفراض الصوراب والخطأ واحد في الطرفين ؟

إننا مستيقى ما لدينا على حاله حتى ينقطع الشك باليقين!

ويؤسفنا أن الكهان في ميدان العلم أكثر من الكهان في ميدان الدين ، وأنهم يحاولون بجرأة ترويع نظريات مهترية ، وأكاسيا لهم القاصرون طابع اليقين ...

(١) الجيولوجيا والإنسان للأستاذ ديفيد ميسنر مطبع قطر .

مأخوذة مثلاً لشخص ما أقصد. وإن كنت على رجل من ضربه واستحياء. لقد وضعت الولايات للتحلة لها دستوراً بعد حرب الاستقلال، تصافر الأمريكيون حكومة وشعباً على دراسته وتنقيته، فهل يمكن القول بأن هذا الدستور حُرِّفَ وشُوِّبَ؟ وكذلك فعل الاتحاد السوفيتي فهل يمكن القول بأن ما وضعه الثوار الأحمر تغير وتبدل؟

إنني لا أشبه القرآن الكريم بهذه الوثائق - معاذ الله - فإن القرآن لم يجر من مصطل واحد هو الكتابة، بل المصدر الأول لتلقيه قبل أن يكتب هو الخط في الصلوة، وقراءته عن ظهر قلب، وإنما لفت النظر إلى أن الدولة حين تقوم على دعامة ما فإنها سوف تحمي دعائتها، وتقرضها على الزمن.

وقول الإسلام في عهد مؤسسه إلى دولة مكيبة سلطان جعل الكتاب المعبر يحظى بالحياطة الشعبية والرسمية جميعاً، وجعل كل حرف منه بين العيون

أذكلك كانت الكتب السابقة؟ لا. إنما تؤمن بالقوة النازلة على موسى كما علمنا الله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الشُّرْأَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾^(١) وتؤمن بالإنجيل النازل على عيسى كما علمنا الله ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الشُّرْأَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾^(٢).

فماذا حدث للوحى السابق؟ أضر أعداء بنى إسرائيل عليهم وهدموا الهيكل ومزقوا صحائف التوراة ولم يبقوا لهم أثرًا يتسكبون به... فلما تحرروا من أسرهم، بعد أسد طويل، تقدم لكتابة التوراة من ذاكرة من تقدم فلذا الصحائف الجديدة ملأى بالغرائب

من يضع سنين تقدم للقضاء الإسرائيلي جندى يشكو الضابط الذى يركسه بأنه اغتصب زوجته، وتحدث محامى الضابط فقال: إن سوكه مشهور بالإقدام والشجاعة، ومنله ينبغي التجاوز عنه كما تجاوز الله من داود الذى اغتصب امرأة داود، ولم يكفى بالزنى بل أوصى بقتل الزوج المنجوع، فقتل فى الميدان بحيلة مرسومة!!

(١) التوبة: ١١٠

(٢) التوبة: ١١٠

إن التحدى يتوجه إلى قوم سمعوا القرآن وعرفوه عن خبرة، وأدركوا أثر عجزهم عن مضاهاته!

المهم أن القرآن خلال فترة الضعف فى تاريخ الإسلام، كان متميزاً معروفاً لا يلبس بغيره، ولا يلحقه نقص أو زياد.

واتسعت نيتى القرآن إلى اللبنة، وهناك بأشر سلطات رئيس الدولة من حكم بين الناس، وعقد للمعاهدات، وتوجيه للصالح العامة، وقيادة وحث للخير من هنا وهناك، وظل القرآن يظل عشر سنين أخرى، الكتب يسجلون بإشراف الرسول عليهم، والمخلفة ينتهزون العلم فى صلواتهم، وما يكتب ويحفظ تعاد تلاوته فى الصلوات الخمس، فى قيام الليل، فى مجالس التلاوة، فى خطب الجمعة، الأفراد والجماعات مقبلة على قراءة الكتاب العزيز.!

وكانت مكانة لوه تنظم بمقتل إتياله على القرآن، وكان النسي يرمى هذه الكناية حتى عند دنى الشهداء، فهو يقدم لى المجد أكثرهم أخذاً للقرآن

حكومة قائمة ترى القرآن دستوراً ومناها، فهو تحفظه وتحافظ عليه، وترسل الوفود به إلى الأفاق، من أين يتطرق الرب إلى كتاب هذه بيته الأولى؟

أمة تعبد ربهما بقرآن وتجويد حروفه، ودولة بكل أجهزتها تصون وتحسى، ما عرفت الدنيا من بدء الحليقة مثل هذا الصون لكتاب من الكتب.

ومضت دولة النبوة، ثم جاءت دولة الخلافة الراشدة، ورجالها هم السابقون الأولون فى اعتناق الإسلام وحفظ آياته وكتابه مصاحفه!

وظلت هذه الدولة ثلاثين عامًا شرق فيها الإسلام وغرب، وأثر عن جيوشها أنها كانت لا ينتهى لها هدو بالتلاوة آتاه الليل والطراب الهار

ومضت دولة الخلافة، وجاءت دول أخرى كثيرة فمأذا حدث خلالها للقرآن؟

كان تواتره، يمتد ليشمل أجيالا أخرى، وكانت مصاحفه تملأ المساجد

والعوامس والدور والقصور... وصديق الله العظيم ﴿إِنَّا نَحْنُ ذُنُوبًا وَأَنَّا لَهُ

ثم خطب في الجمعة التي يعيها بالسرورة فقها دون أن ينزل ويسجد فلما سئل في ذلك قال : أمرنا أن نسجد إذا نشأنا يعني أن سجدة الثلاثة ليست فريضة .^١ وهاجم المشركون يوساً رسول الله وهو يدعو إلى الله الواحد ، وتدخل أبو بكر بلذيم عنه وهو يقول : ﴿ أَتَقُولُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(١) وهذا بعض آية من سورة قافراً

وصلى عمر الفجر بالناس يقرأ سورة يوسف ، فلما بلغ قوله تعالى على لسان نبينا يقول : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ويقول : لا حسد إلا في اثنين رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والطراف النهار ، ورجل أتاه الله صلا وسلطه على ملكته في الحق .

إن الناس يقولون القرآن الآن ، كما نزل به أمين الوحي على خاتم الرسل ، لا تغير في حرف ولا في شكل .
ومنذ أربعة عشر قرناً لم يتغير شيء من هذه الثلاثة ، الشمس هي الشمس ، والقمر هو القمر ، والقرآن هو القرآن !!

(١) يوسف : ٨٤ .

(١) غافر : ٢٨ .

إن هذا الدفاع كان مفاجأة للناس ، لكنه لم يكن مفاجأة للفتنة ، فهم يعرفون القصة في كتابهم ، ولا أذكر في حكموا في هذه القضية! وأما غافض أن نبياً كريماً يقيم بالزنى والقتل ، فيولد جمل مسلكه أسوأ

وداود رجل بريء ، والصحائف التي لوئت سمعته رسمته غيره من الرسلين هي التي يجب أن نحاكم!! فما أكثر ما بها من افتراء على الله والرسلين!!

أما الإنجيل الذي تزعم تنزوله على عيسى فإنه لا يوفق له على أثر القصة كما يروا أتباعه أن عيسى ومن معه اعتبروا خارجين على القانون ، فقتل الحاكم الروماني عيسى بطلب من الشعب اليهودي وانتهت المأساة

وقد ألف ثلاثة عيسى - حكماً قالوا - سيرا نقصنت ما يعلمون من عقائده ، وما يقال عن مصرعها

وسميت هذه السير أنجيلا وكانت أول الأمر تبلغ المشرقات ، ولكن تم اختيار أربعة منها هي التي أقرت قصة الصلب واعتبرت بقوة المسيح .

وقامت للمسيحية القائلة برومية عيسى وصلبه دولة رومانية في القرن الرابع ليلاده .

ونحن للمسلمين نعتقد أن التثليث لم يجمع به دين ولا نزل به وحى ، وأن الأنبياء من عهد آدم إلى محمد ، وفيهم عيسى نفسه دعوا إلى إله واحد هو سيد العالمين ودينهم الفرد ، وما علمه عبد مخلوق له .

والواقع أن القرآن الكريم هو السجل الجامع للعقيدة التي بانها المرسلون ، وتواصروا كاذباً عن كابر أخذ الناس بها وتشتتهم عليها .

وقد حصنه القدر من التعريف والتغيير ، فتعدت القداصة الموضع إلى الشكل ، والمعنى إلى الحروف ، فأصبح ضبط الألفاظ نفسها ديناً ، وقرأتها عبادة ، وذلك حتى لا يعتري الكتاب الخاتم ما اعتري الكتب من قبل !

كان النبي ﷺ - وهو رئيس الدولة - يجعل خطب الجمعة ثلاثة لسور القرآن ، في أغلب الأحيان ، وكذلك كان الخلفاء الراشدون ، ومن الطرائف أن عمر خطب بسورة النحل يوماً ، فلما بلغ آية السجدة نزل من المنبر فسجد وسجد الناس معه ،

والحديث يفيد أن دراسة القرآن تسبق دراسة السنة أو يعتبر آخر، لن يكون فيها في السنة قصير الباع في فقه القرآن الكريم، والكتاب والسنة مما دماها الدين .

أما الحديث القدسي فهو كلام الله تعالى ولكنه لا يحتوي الخصائص القرآنية ، ليس معجزاً في عازه ولا وقع به التحدي ، ثم أنه لا يعتمد بطلانه ، فلا يصح به ملأه . . وأخيراً لم يعمل إيتا بطريق التواتر القطعي ، فالأحاديث القدسية قد يكون فيها الصحيح والسنن والضعيف ، بل قد يكون فيها الموضوع كحديث (عبدى اطنى أجمالك رباني تقول للشيء كن فيكون) ، فإنه لا أصل له .^١

ويروى البعض أن الحديث القدسي من كلام رسول الله ﷺ ، غير أنه الرسول من مراد الله تعالى ، وكان لسان الحال يقول كذا ، والمعروف على الرأي الأول ، وأنه ينبغي الوحي للأنوار في صحيف إبراهيم وموسى ، أي كلام أبي غير معجز ولم تكلف بطلانه الفاتحة والمعيد بها كما تقرر ذلك للقرآن الكريم .^٢

من غايج الحديث القدسي الصحيح ما رواه مسلم عن أبي هريرة الخولاني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال : يا عبادي، إني سمعت المقام على نفسي وجعلته بينكم وبين ربي فلا تغفلوا .

يا عبادي كلتم شال إنا من هديته فاستهروني أهدكم
يا عبادي كلتم جاعل إنا من أطمعته فاستطمعوني أطمعكم
يا عبادي كلتم عار إنا من كسوته فاستكسوني أكسكم

يا عبادي إني كتبت لكم ما أحب وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني
يا عبادي إني كتبت لكم ما أحب وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني

يا عبادي إني كتبت لكم ما أحب وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني
يا عبادي إني كتبت لكم ما أحب وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني
يا عبادي إني كتبت لكم ما أحب وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني

يا عبادي إني كتبت لكم ما أحب وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني
يا عبادي إني كتبت لكم ما أحب وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني
يا عبادي إني كتبت لكم ما أحب وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني

٢٩. ما الفارق بين القرآن والحديث القدسي، والحديث النبوي؟

القرآن الكريم هو كلام الله تبارك وتعالى، المسجل بين يدي المصحف الشريف ، وهو المعجزة التي أهد الله بها عباده محمد ﷺ ، وتعدى مكانتها وهو متداول بالواتر ويعتمد بطلانه ، ومعصوم إلى آخر الأمر من أي تحريف .

وكان العرب يودون أن يجاهتهم خورق حسية بطل تحديثهم بكتاب يخاطب الآلات والأفئدة ، رجاء على المستهم : ﴿وَلَوْ أَنَّا فُتِنَّا بِهِ الْأَنْجَارُ أَوْ لُفُتْنَا بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْقُرْآنُ﴾^(١) ، لا ، هذا القرآن تيسر به الجبال وتقلع به الغرارات ، ويحكم به الأحياء

وقد وقعت الحوادث التي يظنون فما آمن منهم أحد لأن المعاد أعمام .
ولعل الفصل ما يوصف به القرآن ما جاء عن الحارث الأعور قال : مرت في المسجد فإذا الناس يخرقون في الأحاديث ، فدخلت على علي عليه السلام فأنخريته فقال : أو قد فعلوها؟ قلت : نعم ، قال : أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : أما إنها ستكون فتنة ، قلت : فما الخبر مع ما بها رسول الله ، قال : كتاب الله تعالى .

فيه بياحليكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله تعالى ، ومن أتقى الهدي في غيره ضلّه الله تعالى ، وهو جدل الله التين ، وهو الذكر والكفر ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأفعاء ، ولا تنسج به الألسنة ، ولا يضيع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجايبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قلوا : ﴿وَأَن سَمِعُوا قرآن عجباً﴾^(٢) يهدي إلى الرشد فأنشأ به ﴿١﴾ من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم .

(١) البقرة : ٢١٠

(٢) البقرة : ٢١٠

أما الحديث النبوي فهو ما ينسب إلى رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو حكم أو تقرير ، فإن الرسول الكريم إمام الأمة ، وأمرها بالحسنة ، وله عليها حق الطاعة ، كما بين الله ذلك في كتابه ﴿وَأُظهِرُوا الرُّسُلَ أَنْفُسَكُمْ تَزْكُمُونَ﴾ (١) ، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله (٢) .

ورفض الناس لا يبقعه معنى الرسالة ولا مكانة الرسول ﷺ ، وبحسب أن القرآن وحده كاف في هداية الناس دون بيان من صاحبه ، ودون تطبيق معنى يوضح مراد الله من عباده ، وهذا خطأ بالغ ، فإن القرآن ليس نقطة ختمنا عليها في فلاة ، ولا كتاباً نظرياً يستطيع كل امرئ أن يفسره على هواه ضارباً عرض الحائط بتوجيهات من رزق عليه ، وكلف بتطبيقه .

والذي أنجاهم السنة النبوية جعل واضح بعد انطم رحل في تلويح الإسهلية للقول إن محمداً ، لو لم يكن رسولاً ، لكان لفلسفة معدته ، وطهر سيرته ، وحجابه نفسه ، أملاً لأن يسبح نصحه فكيف هو بالرسالة التي اختير لها . قد اضل بالأمم الأعلى ، وأضحى مضمونها في كل ما يصدر عنه ﴿وما يتفلق عن الهوى﴾ (٣) .

إنه عندما يتكلم يتلخ من الله ، ويصدر من قواعد موصول بوزر السموات والأرض ، وكما قال الله له : ﴿وَكَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا مِنْ أَمْرِنا مَا كُنْتَ تَفْهَمُ﴾ ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جفائفاً نوراً يهدي به من نشاء من عبادة وأنت تفهني إلى صراط مستقيم (٤) .

ونختار من المحكمات النبوية هذا الحديث الشريف ، من أي صورة نزلت ، قال ، رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكّيهم ، ولهم عذاب أليم» .

وروى عن فضل ماء بعلابة ويضعه ابن السبيل ، يقول الله له يوم القيامة : اني اصعدك لفضلي كما صعدت فضل ماء بعلابة .

- (١) البقرة : ٢٥١ .
(٢) البقرة : ٢٥٢ .
(٣) البقرة : ٢٥٣ .
(٤) البقرة : ٢٥٤ .

وساكني فاعطيت كل إنسان مسأله ، ما تلقى ذلك عندي إلا كما تلقى المؤمنين الميضي إذا أدخلوا البيعة .

يا عبد الله انصأهم اصحابكم اصحبها لكم ثم اؤلفكم ايها لمن وجد خير ليجمعهم الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلوم من آذاه نفسه .

ومن غافخ الحديث القمسي الحسن السند ما رواه انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى :

«يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني فمأت لك على ما كان منك ولا أبالي» ، «يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني فغفرت لك ولا أبالي» ، «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض عطالاً ، لم ألقيني ولا تشرك به شيئاً لا أتيتك ببرها مغفلاً» .

في هذا الحديث جوهرة متممة الإرادة التي عليها الناس من طول ما انتهزت في الحرب للجهال بين الخير والشر أو بين الصفة والسقوط ، وإراد أن تبقى لتستأنف سيرها إلى الله ، وتزوم الصراط المستقيم ، فالحديث هنا يشبه قوله تعالى : ﴿وَقُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ اسْمَعُوا عَلَي أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنْبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥) وأيضاً إلى ربكم وأسلموا له . . . (٦) .

وليس الحديث توبيخاً من مغبة الاعتراف كما يتصور لجهال .

وربما آخر ، قلت المصائر لرب الله الكثيرين من المعانة هي عبادة النفس ائضى أنهم يمدون أنفسهم من دون الله ، أو يشركون أنفسهم مع الله ، ويقدمون موام على ربه .

ومن يرى من هذه الأثر النبوية ، ووقف أمام الله ، أو لقبه هاتماً نفسه ، بأذى الفاقة إليه وحده ، فهو أهل لأن يعطى يغفره .

وتلك في نظري السرفى رفض الله سبحانه لأي شيء يعتبر شركاً له ، إن أي شيء ، يعتبر حقيقة التوحيد ، مهما كان أمراً ، بشراً أو حجراً أو مالا أو جهاً هو صانع هائل في الإعجاز (١) .

- (١) البقرة : ٢٥٤ .

٤. هذا هو تعارض الحديث مع القرآن الكريم؟

لا يتعارض حديث مع كلب الله أبداً وما يبدو حيناً من تعارض هو من سوء الفهم لا من طبيعة اللفظ ، وذلك مثل حديث ، من يدخل أحد الجنة بعمله ، وذلك تعالى : ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَآ كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ﴾ (١)

الفهم الصحيح للموضوع كله ، أنه لا بد من عمل يقال به الزه رضاء به ، ويستحق رحمة ، فابنية ليست للكسلى والأراذل ، بيد أن العمل للقبول هو الثبوت بالتواضع لله ، وإثبات الذات ، والقلق من أن يرفض رب العالمين العمل المترقب به لأن عيوبه لا تنقضي عليه ، أو لأنه دون حقه ، أو لأي سبب آخر .

فمن تقدم بعمل وهو شامخ الألف ، ليس في حساب إلا أنه قدم العمل المترقب للجنة ، وعلى الله أن يسلم له النتائج ليدخلها بعدما استلحقها بعمله !! هذا الدور لا يقلل منه شيء ، ولا مكان له في الجنة .

أما من جاء خاضعاً خفيض الجناح ، شامخاً بالانكسار لأنه لم يقدم ما لله أهل له فإنه يدخل الجنة بعمله !

والدلائل على هذا المعنى كثيرة ، وما يعقلها إلا المألوف !

إن السنة يعبر متلاطم الأمواج ، وما يستطيع فهمها على وجهها إلا فقيه يترك ملاسات كل قول ، والراء الحق منه ! لأن النبي عليه الصلاة والسلام ظل يكلم الناس ثلاثاً وعشرين سنة ، اختلفت فيها الأحوال ، وتبين الأورد وتبعت القضايا .

ورضع كل حديث بياناً للتعود منه ، أو موقفة للعناق الذي يصح فيه ، هو عمل الفقيه ، وهو عمل لا مانع منه والأحواف للكلم عن مواضعه !

وإعتراف أن ناساً لا فقه لهم ككلهم مالا يحسنون من قراءة للسنة ، وإلقاء بها ، فأسأوا ولم يحسنوا ، وهم الآن حجر عثرة في طريق الدعوة الإسلامية !

بعضهم فهم أن الإسلام يشن حرب العدوان ويأخذ الناس على غرة دون دعوة إلى ديناً

(١) فضل : ٣١ .

و رجل يبيع رجلاً بسملة بعد العصر فحلف له بالله فحلف ، لقد أخذها بكذا وكذا فصدق وأخذها وهو على غير ذلك...!

و رجل يبيع أسداً لا يبيعه إلا لندية فإن أعطاه منها ما يريد وفي له : وإن لم يعطه لم يغيره...!

و جمهور المسلمين على أن طاعة الرسول من طاعة الله سبحانه ، وأن من قرد عصيان رسول الله ، ورفض ما أمر به أو نهي عنه ، فقد خلع ريقه الإسلام من عنقه ...

ولما وقع أن من يترك حديثاً ما من الزوائد التي لم يثبت ، لا يعمل تلك عزراً على صاحب الرسالة ، وأما شكاً منه في صدق ما نسب إليه ، أو في المعنى المراد منه .

بيد أن السنة العريقة ليست كما يصور إليه ، كلاهما جميع بطريق الجواز أو رسول دون رسول !! لا ، إن جميع الفروايط التي يكن حشدهما لقسمان الصدق وللدقة قد اتفهما علماء المسلمين .

ثم إن السنة العملية ، وصلت إليها بطريق التواتر ، الذي وصل به القرآن نفسه ، فلا مجال لإكثار صلاة أو زكاة من الصلوات المكتوبة ، أو الزكوات الموسومة .



٤١. هل الصورة التي رسمها

القرآن تخليق آدم حقيقية أم رمزية؟

وما معنى الحديث

خلق الله آدم على صورته؟

ظاهر أن الذي أوحى بهذا السؤال ما كتبه مطروني، من أصل الأبرار، وما أعلته من رأي في قضية الخلق والارتقاء .

روح أن النظرية متفاوتة من جوانب كثيرة، ومع أن هناك من علماء الأحياء من رفضها جملة وتفصيلا، فإن أعدادا من الناس لاتزال تروج لها، بل إن هذه النظرية لا تزال تدرس في بلادنا وكأنها حقيقة علمية !

والسبب في ذلك أن سدة المناهب وسمسرة الإلحاد لأزحف من الشرق والغرب يبدون إقناعا بأننا من الأرض وحدهما نتلقا، وأن الروح التي نسمو به ونسود بقية الأحياء لم يخلق من الله ! فهم لا يعرفون به إلا ظاهرة أرضية بحتة وأنا رجل مسلم، أتعلم بأن نسمي السماوي أركى من نسمي الأرضي وأحق بالاعتماد، وأنني ابن آدم الذي خلقه الله من تراب الأرض، ولو استيقنا على هذا الظور من الإيجاد ما كان له شأن يذكر !

إن آدم اكتسب مكاتبه وكرامته بعد أن فتح الله فيه من روحه بهذه التقدمة البشرية أمضى كأننا جديرا أن تسجد له الملائكة ونحن في وضعه الجليل الإبداع الإلهي وحسن التفوق وعزيمته العقل والاسباب ! فوإذا قال ربك للفلاحة أني خالق بشر من مصلال بين حيا مشبون (٥٦) فأذا سويته ونفخت فيه من روحي فبقوا له ساجدين (٥٧)

(٥٦) الطور: ٣٨، ٣٩ .

وستقبل السنة بإبداء أحكام إلى جوار ما شرع في القرآن، وأرى ضمير في هذا ظارا: مثل السج على الغنمين بطل شريعة الفسلا، ومثل تحريم الذهب والحرير على الرجال... الخ .

ولتحقيق أن تشريعات السنة كلها داخلية في نطاق القرآن الكريم، ودلالاته القرينة والبيانية، وضد أن السج على الغنمين ليس من إنشاء السنة بل هو معنى القراءة الثانية: ﴿وَأَسْمِعُوا يَوْمَ يُنَادِيكُمْ إِلَى الذِّكْرِ﴾ (١) بكسر اللام عطفا على ما قبلها، والتعسير مجازي كما يقول علماء البلاغة، أمثل: الحال ورأد العمل ! أما تحريم الذهب والفضة فسقلا لأبواب الترفيع وأقل ما يولد من تحريم استعمال الخرس للحصانية شريعة الأذان، ولا فلا مانع من استعمال الخرس الإنداز أو في الساعات النجفة، أو في الهاف أو في أعتاق الدواب مثلا .

ولنعلمه الحقيقة كلام في هذا الموضوع أوردته هنا لأني سبال إليه، أنهم يزورون أن الفرض والحرم لا يبد في إيجابهما من نفس قاطع، وسمى هذا أن خبر الواحد لا ينعش على إيجاب حرمه أو إيجاب فرضية .

وهي هذا أن الأحكام الشرعية تزيد اثنين فوق ما قرره الأمة الأخروية الأمة يقولون: الإيجاب ما يثاب على فعله ومقابله على تركه، والحرم بالعكس ما يثاب على فعله ومقابله على تركه، والندوب ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه، والكروه ما يثاب على تركه ولا يعاقب على فعله، والباح ما استوى فيه طرنا العمل والترك .

ويرى فقهاء الحنفية أن ما أمر به حديث أحد لا يرتفع إلى درجة الفرض، ونعسى لهم وأجبا يقر بفعله ويلزم على تركه، وما نهى عنه حديث أحد لا يرتفع إلى درجة الحرم بل يترك ويلزم على فعله، ويأخذ حكم الكراهة التحريية، وهم يقولون هذا الحكم على ما انفردت السنة ببطوره كلبس الحرير وللملب الرجال مثلا .

لا فرضية عندهم إلا بعض قطعي، ولا تحريم إلا بعض قطعي، وأختيار الأحاد عند الجمهور لا تفيد إلا الظن القلبي، وقد بعض الحنابلة فرؤى من إمامه أنها تنهت القطع، وهذا فهم مردودا

(١) الشريعة: ٣٨ .

إن الغروب الذي يطوى الأشعة في رأى العين فسيلاً لليل ، كالرب الذي يسترد
السر الإلهي فتشبهه الحياة .

لكن الشمس تغرب من ناحية لتطلع في أخرى ، وليس غرت بيتنا ، أو تغرب
بيتنا لتشرق وزوجها في عالم آخر .

وكان النبي ﷺ يشير إلى هذا المعنى عندما يقول في كل صباح : أصبحنا
وأصبحنا لله ، وأعيد لله ، لا شريك له ، إنه لا هو واليه المنتود وعندما يقول في كل
مساء : أمسيت وأمسى الله له ، وأعيد لله ، لا شريك له ، إنه لا هو واليه المصير .

وحيث بيتنا المصطنع الإلهي في كل لحظة تقدم حسابها الخاسر بها ،
وكل امرئ حسابه على قدر ما أعطى من موابح وامكانات ﴿ لا يكلف الله نفساً
إلا ما أتقانا ﴾ (١) ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى ﴾ (٢)

وعلى أية حال فالذي قد أدرك أن جسمي يتكون من تراب هذه الأرض ، لكنني
لن أصدق أبداً أن الحب والبيض والرجاء ، وليس ولدنا ، ولذا ولذا ولذا ولذا
ممان نيت مع المشب وكلا ، وجاءتني من تراب هذه الأرض .

ثم شيء آخر يجعلني أحس بأني أم ، وبأنه حقيقة لا بابها تطاول العصور ،
ذاك هو وحدة العصور والتفكير بيني وبينه ، إن الله أسكنه داراً حسنة وسط حقيقة
يائسة ، فيها ما يعني ويكفي وقال له : ﴿ اسكني أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً
حيث شئتما ولا تقلنا هذه الجنة ﴾ (٣) بيد أن الإنسان يريد اكتشاف الغيوب
ولو كان تأفها ، يريد الوصول على المنبع وإن كان موزناً في الحلال الطيب سمة ،
أو في دائرة المباح متعجب لكن آدم أبي إلا الجري وراء الوهم .

وكانت له آمال باطلة يدلو تحققت ، إنه يحب الخلود ، ويحب أن يكون ملاكاً
بأبائنا تلتقي : إن الله أسجد لك ملائكته فكيف تبرك دون مكانتك ؟

وجعل إلى مشييتك لبقاء في الجنة والتقلب في رياضها فساقاً تتخاف ؟
وعرف الشيطان مكان الضمف من نفس أينا الطامع تحلف له بالله أن أمانيه
سوف تتحقق إن هو أكل من الشجرة الخمرية ... وكان صوت الهي قد بدأ يهتف ،

(١) الملائكة ٧٠ . (٢) المؤمن ٣١ . (٣) لقوة ٢٥

لولا هذه التهمة لكنت نوحاً من الأوباء التي عذبت هارون ، عنها ، وكنت من
أسرة مغفوق الأورد من زواحف وسباح ومن طيور وأمنام

إنني أؤمن بأن الله خلقتي وفتح في من روحه ، وأنا كذا أي آدم صور من طين
مباركة ، فانا من سلالته على طول المدى ، وقد قال الله في ربي أخوتي من أبناء
آدم ﴿ البلي أضن كل شيء خلقه ربنا فبقاً خلق الإنسان من طين ﴾ (١) ثم جعل نسله من
سُلالة من ماء مهين (٢) ثم سواه وفتح فيه من روحه (٣) .

والتمسح التي سرت في أرضي وجعلني خلقاً آخر تستحق القابل للمحبة ،
إنني الآن واحد من خمسة آلاف مليون بشر ، هل نحن خمسة آلاف مليون نسمة
من كتاب واحد كلا ، إنه كما تختلف بسمات أصابتنا ، وملايح وجوهنا تختلف
مواهبنا الفكرية ، وساحرنا النفسية .

لكل قلب همومه وأفئدة ، ولكل عقل مجرى تفكير وقدره استيعاب ، أي إن
التفئة ما هنا

فإذا كان ذلك في عصر واحد فمما من نهر الحياة اللائق من بدء الحقيقة ؟ ومما
عن أجيال البشر الذين يتوارثون عصارة هذه الأرض ما شاء الله ؟

إن الله العظيم الذي أشرف على كل جنين ، وتابع أحواله حتى اكتمل وزحم
الغزير بين أن هذه الإنسانية المأهولة شيء صغير بالنسبة إلى ما خلق من
عوالم لا تدركها العين القابل : ﴿ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس
ولكن أنظر الناس لا يتفكرون ﴾ (١)

إن الشيء واحد بين أسماك الناس وأعدادهم أي بين عالمي الحياة الإنسانية
المادية ، وأمل ذلك ما جعل شوقي يقول :

يتفكر مثل النسم أنت جامعة

في عاصم ، وأشعة في بلقيع

لربما طوى الله النهار تر اجتمع

شيئ الأشعة وانفتحت في البحر جمع

(١) المائدة ٧٧ ، ٧٨ . (٢) طه ٥٧ .

ومضى زمن على المنظر القروص، كانت الأحاسى الباطلة خجالة لا تزال على شذنها، لم يمش الشيطان من مهتة فظل يوسوس، وغر بالآب الغافل، حتى دخرجه من مكانته، وأخرجه من جنته، تذكرت قول النبي:

وهي الناس من يرضي بيسوء وعيشه

ومر كويده جلاله والنوب جلده

ولكن قلباً بين جنين مسالمة

سدى يتنهي من فس مراد أخده

بغير أن يكسر شفوفاً تسريه

ليختر أن يكسر دروعاً تهديه

لقد مضى النبي مع طمعه في الإمارة والجله، وأثار الفبار وراءه وكفدها ملح وجهاً، وخاضهم وسلام. واشتبك مع الأقيان والأذال، وفي ليله ليلاى لقي مصرعه على أيدي جماعة من المرتزقين، فمرغت الحكمة والشعر في الثرى وأجهز الموت على ظلمات الرجل الذي لم يرضه شيء!

إننا أبناء أينا غفر الله له، ما أشبهنا به وما أشبهنا بنا!

لكن أعلى وأعلى، ما في قصته لم يذكر بعداً لقد تذكر الناس، أو مصداها، وعرف آدم أنه ضل الطريق، وأضاع قواه وراء وهم، وأغضب ربي نعمته فوقت مع امرأته بجاران بهذا الدعاء: ﴿وَرَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١).

وهبط إلى الأرض، وأرسل الله سبحانه من ينظر علينا خيرهما لنتعظ! إن قصة الإنسانية في حياة آدم هي قصة الإنسانية في حياة نبيه، خطية ومتاب... فما هي قصة الإنسانية عند الملاحدة؟ جراثيم وجلت من غير موجد، ظلت تتعاثر ليعنى الأفوى، وظل الأفواء يتعازكون حتى استطاع الإنسان الغلب على غيره من الدواب وأن يسودها، فبلغ الإنسان بجداره قمة المملكة الحيوانية وأمسى سيدا للقبلة والحيور والأراب والسباع. **!!** لقد ساد إخوانه في سياق شريفها إن القصة بهذا السياق أكلوبة حقيرة...

(١) الإعراف: ٣٢.

٣١١

وتع أن «خاويين» قال: إنه لا ينكر الألوهاً فإن كلامه مضطرب متهاق، وهو منه آخر الأمر إلى قطع الصلة بين الإنسان وأوب الأرض والسما.

أما حديث أن الله خلق آدم على صورته فقد قبله أغلب الحديثين وفسروا الصورة بالصفة! يعتبرون أن الله لا تفع من روحه في الكيان المادى لا دم أصبح آدم بهله النقية حياً، قادراً، مريفاً، سميقاً، بصيراً، متكلماً... الخ.

وظاهر من تكوين آدم أن العقل الذى أضاه في مدافعه علمه الكثير ما يعمر الكون، ويصير ما تعجز الملائكة عن إدراكه ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ حَادِقِينَ﴾ (٢) قالوا: سبحانه! لا علم لنا إلا ما علمنا! (٣).

وقد انطلق بنو آدم في الأرض بمواهبهم العليا وغر انزهم الدنيا، وتعرضوا لامتحانات هائلة، ولا يزالون في ضوضاء المعركة وبأسائها، إلى يوم الفصل!!

ومن العلماء من يقول: خلق آدم على صورته، أى صورة آدم نفسها فلم يعرض لها تغيير عن الأصل، وإن يعرض في المستقبل، أى لا تطوراً!

ورأيت لبعض الكتاب طعناً في الحديث! يقول: إن آبا هريرة نقل هذه الجسلة عن كعب الأحبار، وهو يهودى الأصل، والجسلة موجودة في سفر التكوين أول أسفار التوراة، فالتدح بها أبو هريرة ورواها حديثاً!

والذى أراه أن وجود الجسلة في التوراة لا يعنى أنها موضع ريبة، وأن المعنى الصحيح لها قائم ومقبول، وليس للاتهام طبل.

(٢) البقرة: ٣١، ٣٢.

٣١٢

٤٢. هل يؤخذ القرآن بنصه ؟ أم على أساس الظروف التي نزلت فيها آياته ؟

ينظر إن يكون المرء شريكاً من جميع نواحيه ، أكثر من ذلك أن يكون . مع غلبة الشر عليه - شريكاً في جميع الأوقات .

السمة الغالبة أن يخلط الإنسان صلاً وآخر سيئاً ، وأن تبه فترات صحو تبتدئ عيونه بين الحين والحين .

والخوف من الإنسان الذي يصحو ويغمى ، ويكبر ويقزم ، أن يغلف انحرافه الذي يعمره ليجعله مساكناً عادياً أو أمراً لا يجوز التنبه به والتوجه عليه ، وأن جاز لضرورة التمكن من الكلمات خفيفة الرفع ، وتوطئة للفتى .

استمعت إلى اللص البديوي الذي يسرع سرقة قاتلاً :

ولا أسأل المجلس التميم بصيره . ويصر أن ربي في البلاد كثيرة !

وقلت : هذا رجل يكره أن يقبل البصير صدقة ، ويكره أن يأخذ عارية ، لأنه يكره أعطية اللئام ، لذا تكون يده السفلى . فليذهب إلى الصحراء أو إلى البيوت وليسرق أي بعيداً ولا جميل لأحد !!

إن السرقة في منطقة استجابة لرغبة نفسية طبيعية !

قلت : لو حمل هذا الرجل إجابة علمية في القانون ، فلن يعاقب سارقاً ، ولو حدث عن حد السرقة لأرعد وأزبد وهاج وهاج وقال ... لا عودة إلى الزمان ، لا تريد وحشية ! ولو أن إنساناً عاش في بيئة اعتادت السطو على الأعراس ، أو تسلب إبهما الشفوة ، فأصاب وأصيب منه ، واعتدى واعتدى عليه ، فإنه سينظر إلى الحياة من خلال جوانبها الأخرى التي لم يتدنس فيها ، ويحاول تخصيصها والتعويل عليها وحدها ، والنظر إلى المآل الذي تلوه على أنها هبات ينبغي التجاوز عنها وعدم الزوف عندنا . وهذا هو مثله لو ملكوا سلطة التشريع لجعلوا العلاقات الجنسية كلاً مباحاً ، في جلود التراضى طبياً ، كما هو الشأن في القوانين الأوروبية !

إنتى أنهم أن يقع الخطأ ، لكننى لا أنهم أن يتحول إلى قانون ! وقد يستكبر إنساناً لكن ما معنى أن يعتذر عن إبليس؟ ويغلف تطاوله على الله ببارك وتعالى !

وقد يتزلق امرؤ في الوحل المرفوض أن ينهض ويصلح شأنه ويصل برزده أما أن يغفل في الطين ، ويومى به وجوه السائقين ، فيذهب دنانة غلظة !

يؤسفنى أن ناسا كثيرين يدل أن يصلحوا أنفسهم يهربون إفساد القانون ، وذلك هو السر وراء المحاولات المبرورة لتعطيل الشرائع السماوية ، وهى محاولات نجحت بين أهل الكتاب الذين سبقونا ، فأنسى للوحى حبرا على ورق .

والإسلام على كبره في المصاهر أن يفعل للمسلمين مثلاً يقل غيرهم ، ففرض شريعة الإسلام على الرف ، أو يحكم على بعضها بالإعدام تحييداً لقانون الحكم فيها كلها .

والأمر لا يحتاج إلى الحيلة ، فقلنا : إنا نتجاوز النص إلى روح النص ، أو لنقل إن الظروف التي نزل فيها النص قد طرأ عليها تغيير ، فليعتبر النص تبعاً لذلك !!

ما أسهل تطويق الإسلام بهذه الطريقة وجعله اسماً لا حقيقة له ، أو جعله شكلاً لا موضوع له !

وقد بدأ مسامرة الاستعمار تنفيذ الخطأ ، فسمعنا من يقول : إن الشراب تفتى عن الزكاة ومن يقول : إن الصلاة والصيام يعطلان الإنتاج ، فلا حرج من التنازل عنهما ومن يقول : إنا حرم لحم الخنزير لقدرته مراعية قديماً وقد زالت الآن هذه العلقة ومن يقول : إن المريدة في الطريق هى سر تحريم الخمر ، فمن يتناول منها قليلاً في بيته فلا حرج ... إلخ .

ومكثنا ، تنهيد أركان الدين وتضييع معالم الحلال والحرام باسم دوح النص ، وتغيير الظروف ، وتبع انتفاع الناس بالإسلام ، بل يتبع دخولها فيها وينسحق الجلال بعد ذلك للإلحاد ، أو للأدیان الخرافية الأومعروف أن تعطيل شرائع الحدود والقصاص ، كان تمهيداً للقضاء على العبادات والعقائد والتاريخ والتراث واللغة ، وسائر مقومات الأمة ... !

ونحن إذ نوصد جانب في وجه الاستعمار الثقافي نفتح الباب على مصراعيه أمام أولى الألباب ، ليحسبوا فقه الإسلام وعمره ، ويذكروا بهذا أننا لناسا من التعصين للفقه الفقهى ، بل على المكس نحن مع الجمهور على أن القياس من

إن الغربيين يجب أن يخطئوا من الأدوار المسيحية التي تلعب بالأدب وخطبها بالعلم لتكليف المرأة بالكسب منذ صباها المبكر ، ولزعم بأن المسلمين سواء في الغرب والشرق .

وأنا لا أزال حزيناً في تعليل هذا الرضا العام ، بالتهلاك الأعراس ، والتسليم الرضيات ، وتقليم الأجزاء في الرأس والحقائق

وعلى أية حال ، الرجل ملزم بالبقاء على زوجته إن كان زوجاً ، وعلى ابنته إن كان أباً ، ولا تكلف الفتاة بالتعرض للارتباك كي تعيش ، فإنها ستعقد نفسها في مأزق كبيراً !

ولما بقينا أن نعمل ونكسب في أوضاع متخيرة مضبوطة ، لها رئيس عليها ربح تلك مما تله الرجل من زيادة في موارثه سيجعل لها بصورة أو بأخرى .

وسوف يرضى الغرب نتائج فسوف لا يزال اتباع الرسالة الخاتمة قدوا القدرة على الاعتماد لتجاعة الإنسانية ، لا يفي الغرب في مكانته تلك ، مع بقية رعاياه ! أنه باق لعدم وجود البديل وحسب !

القرآن الكريم قد أحكم الله آياته ، وبترفعها وذكرها ، وما تشابه من آيات القرآن فلا علاقة له بالأحكام المحلية ، وباللهك القروية والاجتماعية . ١

ولست هناك أية قط يمكن الحكم عليها بوقف التفسير ، أو تعطيل عملها ، تفسيرها أو تطبيقها .

وإذا كنا نعيش على بعض اللاجئين نرحمهم بأحكام الحدود والقصاص ، فهناك حبيب لنجد على غير من اللتين إلى الدين ، أنهم أثاروا ما استقبلوا ، وتركوا ما استوروا .

إنهم صلوا لأن الصلاة عمل لا يجر رواه التائب . . . أما قوله تعالى : ﴿ فَمَا أَتَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فربما قرئوا لله شهيداً ، بالنقض ولا يجر حكمهم شأن قوم علي إلا

تفصيلاً . . . ﴿ ١١٠ ﴾ فامر فرق طائفة الجبناء المحررين على قتالهم وضامهم ، هنا يمكن الوجه إلى تأويل النصين وتغاير الظروف ، وجعل العجز عملاً ، وأجبن حكمة . . . ١ . ولبعد عن العوارض المستقيم يستوى أن يكون الاعتراف فيه ذات الجمين أو ذات البيل .

أداة لخدمة ، ربح أغلب الفقهاء في رواية الصلوة للرسالة ، واحترام جعله القواعد التي تحكم الفكر لتفريغ عقدا .

والمثل أن علم أصول الفقه علم جليل القدر ، وهو كما قال الشيخ مصطفى عبد الرزاق ابن علي خصائصاً من الفلسفة الإسلامية .

لكن علم الأصول مجرد في كتبه ، والصلوة في القرون المتأخرة تكاد تكون متخلفة عنها وأعلام الإسلام تحكمه بعض الآراء الاجتماعية التي لقيت حظوة عند فريق من الناس ، ثم قامت عليها تقليد راسخ ، ثم اعتبرت هذه التقليد هي الإسلام بوجه ، وأبصر تركيزاً خرجاً على الدين ، ورواية وصف تأوها بالارتداد !

إذا كان ذلك ما دعا إلى الكلام من نفس للروح النعم ، والظروف وتضارب الظروف ، فالاصحوح وجه آخر ، وإن لم يحسن أصحابه الكلام فيه ، أو تصور أصحابه كما يجب !

أهم مجتمع عملت حيث فيها ألوف الفتيات لأن الكعبة لم يقدم من الكعبة الرقيب استناد في المعلوم محام قديم ؟ أديب رائع ؟ فاجر ناجح ؟ شاب تزيه القفرى وخدمة للقل ؟ لا ، لا كعبه وراء خلف الخلال كلها ! اللهم السب الخارج ، والكعبة للمدعوة بالان الكثير . ١

وقضية الكعبة يستندما فقه معيناً ، لكن هناك فقها إسلامياً آخر يقول إن الرضى المسلم حكمه لبنت العاطية الهاشمي ، لا ، هذا فقه مهمل ! لماذا لا يكون الإجماع نصيب الاجتهاد الأول ؟ هذا ما حدث !

فهل الدين من حيث هو عقيدة وشريعة - يزدري بسبب هذا الذي حدث ؟ إنه لا شكاة من نفس معين ، لا شكاة من أسر أو نفس من صرحم ، الشكاة من فهم ضيق لأحد القصور أو من واجب لم يدر به أمر ، أو من حرمان لا يستند نفساً ١ . وصلاح هذا المثل سمور ، بل هو عمل المجددين والصالحين والدعاة النافعين .

قال في أحد الناس : إن إعطاء الأتي نصف نصيب الذكر موضع ضيق من المتقين في الغربية وهم يورث المسألة بين الأخيين ، وأعمال هذا النص ١ . قلت : إن هذا النص جزء من خطبة اجتماعية كبرى تجعل نفقة الفتاة مسئلية الأسرة لا مسئوليها الشخصية ، وقد ساءل الغرب بين الذكر والأنثى في طلب الرزق ، وخرجت الفتاة للكسب من سن السابعة صغيرة ، وهذا حدث ؟

إنه - يوم الحساب - يتلقى ثأرنا فجاءه فيصبح جذلان . سمعا كل إنسان هو قائم
أفرزوا كجارية (٣٢) أتت في أملاك جسيانية (٣٣) ظهر في عبيته رأبينة (٣٤) لي
جثة عالية (٣٥) ظهر فيها دانية (٣٦) كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام
الخالية (٣٧) .

إنها فرصة العمر ، بل فرصة المطرودا شتان بين مصير ومصير

والإيمان باليوم الآخر عبق في التربية النفسية والاجتماعية ، إنه يتحمل
حيثما يظفر بالراحة بعد جرحا كما قبل لأوجاع . تقوم في هذا اليوم المطرود قال :
اصوم به يوم أحرم منه !

وتقبل النفس بالآل عوز على الرضا بالخائب ، وحسبها على ما ذكره لنتال
ما تحبها وكما قال الشاعر :

منى إن تكن حفاتكنا أسعدك المنى

والأفصة عشتا بهما زنتا وشدة (١) :

وهذا الاستثناء بالنسبة إلى الأخرى مرفوض ، فإن الدار الآخرة أثبتت من
الدار الأولى ، على نحو ما ذكره المارغون : الناس أيام فارقا ما روا التبهوا ، ومن هنا
صح وصفها بما يدل على زيادة الحس في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ
لِلَّذِينَ هُمْ عَنْهَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ﴾ (٢) . والخيار كالاضمان مصدر على سعة المعنى .

وقد ذكرت في القرآن الكريم الروايل التي تذكر فيها الأخرى لتصحح السلوك في
هذه الدنيا أو تركت وزنت ، فمتى ما ضاقت زوجات النسي ﷺ بعيشته الخسنة
قبل لهم : الأمر على غير ما ألفتم فدينا ، لقد جئت من بيت حافلة بالسمعة والشانع
إلى بيت لا سرف فيه ولا زرف !

إنه بيت الكعاج والخموة ! بيت العزلة والتجديد ! لا بد لرب هذا البيت أن
يكون قدوة للمضطهدين والمخاضين ، ومن صورت نروا لهم وقلوا طمأنينتهم
لعمري الإسلام !

من طلب سمعة الحياة فلا مكان له هنا ، ومن رأى الأخرى رضى لها سمعها

(١) لمذكورت : ٢٤ .

(٢) الروايل : ١٨ - ٢٤ .

٤٣. ما حاجة الإنسان إلى الإيمان باليوم الآخر؟ وما أثر انكاره على السلوك الإنساني؟

إذا طالع الكلام من لذر الأخرى فلا يأمن أسدا فإن ثورت لانهول حيا أمات
لشعر بها ، حتى قال الحسن البصري عن الموت : وهو أول مراحلها - ما رأيت حقا
أشبه به ما قبل من الموت !

وكل حقيقة يجب أن تعرف بها خصوصاً عندما تتصل هذه الحقيقة بعقائنا ،
وعندما يكون الشاطن صليفا ، ثم ترك غرا لا يحسن السباحة يترك فيه ، فإنك
تأله !!

قد نستغنى عن بعض الحقائق وإن كان الجهول بها حيبا ، ما دامت لا تمسنا ، أما
إذا ارتبط كياننا للذي والذى بشيء ثم غفلنا عنه فهذا العامة . . .

التي أتعمل فجعة الجاهل عندما يحس فجأة أنه مكمل الجوايل أمام غيب
تحول إلى شهادة أمام أسر كان يهوا منه فافا هو جدر يصنع صانعا لقد وقف زوجها
لوجه أمام ما كان يتكوه بقوة ووجهه ، ريثك وأنتك صفا صفا (٣) ووجهه يومئذ
بجهم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى (٤) يقول يا نبيي قد كنت
جاهليا (٥) .

ليت ! وهل يقع شيء ليت ؟ إنه أضعاف ما فيه في الحياة الأولى سدى ، وما هو
ذا يصعد مازيح أما فكر قط في هذا اليوم ولا أمد له عدة ، ومع التنازع والندامة
يقول : يا نبيي قد كنت جاهليا ، وجهات .

وهناك شخص آخر ، كان في دنيا الناس يذكر الله ويطلب السيبان ، ويستمد
لواجه عاصفة فهو يترك قرآنه متعلقا إلى المسجد ، يبيض عيونه عن الناس
البزوة ، يستغنى عن الحرامات وإن كنت حولها التورات .

(١) الشعر : ٢٣ - ٢٤ .

ويذكر العريقان أنهم كانوا يتفقون على إهانة المؤمنين ، ومنهم بالفتح السموت ، ويظهرون على اضطهادهم وأفعالهم ، أين هم الآن ؟ .

وقالوا : لو أننا رأينا لا نرى رجلاً كنا نعلمهم من الأشرار (٢٦) اتخذناهم سخرىاً ثم رأيت عنهم الأبحار (٢٧) إن ذلك حق نعلمهم أهل النار (٢٨)

تسجل هذا النظر الذي سبق حتماً ، وللمعجل بمعرضه الآن ، فيه طمأنة لجمهور المؤمنين الذي أرقعه الاستعصاف والاستورا بما الكافرون فأنهم لا يعرفونه ولا يصرفونه !

ونظر آخر جدير بالتحامل ، يقوم بعض أهل الجنة بسياحة قسوة يستكشفون فيها مصادر من كانوا يعرفونهم قديماً من أهل الضلال والكنز ، إن ! لو قال قائل بينهم : إني كان لي فري (٢٩) يقول ألقك من الضيقين (٣٠) ألقاً متاً وكذا نزلنا ربنا ألقاً للذين كفروا (٣١)

هذا العريق ينظر المؤمنين رجعين يصعدون الجرفات ، ويتبعون الشرفات ، فهو يقول لصاحبه : أصدق أننا بعد فائتاً نبعث ونخزي ؟

وشرف الرجل المؤمن على قربة القديس ليراه وسط أمواج لو قال هل أتيت مطمئناً (٣٢) فأطاع قرأه في جزاء الحميم (٣٣) قال تالله إن كنت لفريقين (٣٤) ولو لا نعمة ربنا لكنت من المحضرين (٣٥)

وعبارة إن كنت لفريقين ، تنمى المؤمنين في يوم الناس هذا بضرورة البينات على الحق ، لأن التهور فيه طريق السقوط والضياع ، كما تنعوم بنية الكلام بفصل الله عليهم ، إذ شرب صلورهم لهما واستلهم عليه !

وفي خدش الحاصرة ، يتفرق المنافقون من أهل الإخلاص والميقين ، ويهجرون مجالسهم ، ويعدون عنهم إذا مجتمعهم المناقبات في طريق ، تلك لأن قلوبهم مع الكفر وأجوابه ، ما يأسرون الأهم بيد أن مجال تشير تغييراً عميقاً في المدار الأخيرة لو يوم يقول السافرون والناطفات للذين آمنوا انظرونا نفس من نوركم قبل

(١) من : (٣٦ : ٦٤ الصفات : ٥١ - ٥٣ الصفات : ٥٤ - ٥٧)

فليس موطناً نفسه على حياة ناشئة ! لو أيها النبي قل لأزواجك إن كنن ترذن أفعاء الدنيا وزيها فتقابلن أمكنن وأسرحكن سراحاً جميلاً (٣٦) وإن كنن ترذن الله ورسوله ولأزواجكم الآخرة فإن الله أعد للمتقين منكن أجراً عظيماً (٣٧)

وجمهور الناس قد يحس ضمه وهو يرى المرتبين والقسدين أو الملحدين الجرمين يخرجون في طول البلاد وعرضها ، عليهم شارة للعبة وأيام القوة .

وقد يكون ذلك سميت فتنة لأهل التقى والمخالف ، لكن الله سبحانه يحو ذلك محورا عندما يقول : لو لا يفرق قلبك الذين كفروا في البلاد (٣٨) متاع قليل ثم ما أفلحهم منهم وفسن السهاد (٣٩) لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار جالين فيها لو لا من عند الله وما عند الله خير مما لا تأثروا (٤٠)

ومن شاهد القليلة مشهد يتكرر في القرآن كثيرا ليحارب ظاهرة مؤذية تسود الأمة العربية والإسلامية من زمان غير قريب حكام الجور الذين يتهاوت حولهم الاتباع ليوأزروهم على ظلمهم ، ويشاركهم في سائرهم الجرام .

إن الشيعة في الفساد والفساد مقسمة على الفريقين قسمة خاطلة ، لأن هؤلاء يوحون وأولئك يتفقدون ، والبوس والأذال بين كذا ، في انفراد الجرائم ، وفستة المستضعفين وأثرة الفتن ، ومن هنا جمعهم مصير واحد .

وتدبر قوله تعالى يصف هذا المصير ، ويشير ما يقع فيه من حوار ! لو هذا وإن للفاقرين نشر رب (٤١) جهنم يعلمونها نفس السهاد (٤٢) هذا فليدبروه وحسب وغشاق (٤٣) وأخبر من غشاقه أزواج (٤٤) هذا فوج ففتنتهم معكم لا ترجع إليهم صالوا النار (٤٥) فأروا بل أنهم لا ترجع إليكم ففتنتهم لنا نفس القرآن (٤٦) قالوا ربنا ما قمم لنا هذا فؤدة غداً جميلاً في النار (٤٧) إن الكبراء عندما يرون الأذال يلعبون بهم في كل الجحيم تتروهم اللقايا ، ويصيحون مستكبرين مزاحم ألقائنا مضوا لهم في الدنيا وساروا إلى أعقابهم ، أما اليوم فإن الفريقين يتبادلان السخط والتسائم وعلم الترحيب

(١) (الجزء : ٧٨ ، ٦٤ (٢) (الصفحة : ١٦٢ - ١٦٨ (٣) من : ٥٥ - ٦٦)

٤٤، ما أثر الإيمان على الأخلاق والسلوك والضمير، على ضوء ما يحدث في الدول المتقدمة التي تأخذ بالعلم ونتائج العلوم فقط؟

لا نستطيع انكار المادي الكبير الذي بلغت الحضارة الحديثة في اكتشاف أسرار الكون، إنما حضارة ذكية العمل راسعة المعرفة، وقد طوعت ما بلغت إلى تقدم صناعاتها بطرق بالإنسانية بطورة وحسية روحية، في جميع المجالات للدينية والمسيحية...

ولكن هناك إحساساً عاماً بأن هذا التقدم المادي لم يواكبه تقدم روحي، وأن إنسان العصر الحديث لا يختلف كثيراً عن إنسان العصر الأول في غرائزه وشهواته وإذا كانت ثمة فروق فهي لوسائل لا في المواقف والغايات، بل لقد قبل في إنسان العصر الحاضر: إن عضلته أكبر من عقله.

ولواقع أن الإنسان يضطرب شره عندما يكون حاداً لذلك حقيقته المطلق، ومثلما ردنا أن الإسلام عقل يرفض الخرافة، ويقلب يكره الرذيلة!

إن الأحكام المعنوية امتداد وضيغ في جميع المالكات الإنسانية، وهذا التوازن أسس لا بد منه لقيام مجتمع رشيد - وحضارة قائمة بالعدل، ومدينة مثالية، فعمل الحضارة الحديثة - بعد تلك القوررات - جديدة بالقدرة أو هي أرجح من غيرها في موازنة منصفه؟ الحق، لا...!

فليرجل الأبيض، قائلة هذه الحضارة ورائدتها، إنسان طالع الثانية، يشهد إلى منافعه الف رباط، وقيل أن نشرح شره المسور، واستعلاءه على غيره، نذكر أحد مظاهر الحضارة الإسلامية القديمة!

والعرب الناحون قنموا الإسلام للأصاحم، وبقومهم به من الظلمة إلى النور، وبعد رج من الزمان كان هؤلاء يصلون وراء الأقباء من شتى الأجناس، ويتلقون عنهم العلوم الدينية، دون خصاصة أو كبرياء...

”أرجعوا وراءكم فالتقسوا ثورا لغرب بينهم يسودك باب بالظن فيه الرحمة وقادرو
من قبله العذاب (١)“
إن القرآن الكريم يرمي الناس بعدم الحساب حين يذكره بذكره، ويصالح عليهم بما يسوق من صوره
إنه يذكره لإصلاح الدنيا لا ليهنأها، ولتعلق المهم بالأبقى والأجدى لا بالمزني الخاف.

أما الماديون الذين يزعمون الآن مشارق الأرض ومغاربها، فما يعرفون إلا هذا الشرب، وما يعولون إلا على إلهامهم فوقه وما يرمقون السماء ببطرة رجاء، وما يعقلهم على زعم ولاه ولا عوقان.

مرت يوماً بأحد شوارع القاهرة، فرأيت حربة قد تقف الجمار الذي يجرها، وكأرت صاحبها الخزين على ضحيته، ونظرت إلى الدابة اللينة عند أقدامه، وقلت في نفسي: انتهى أمرها، إن كثيراً من العادة والساسة لا يقرن بحياتهم فوق هذا المستوى الحيواني، يقتنون أمرهم انتهى عندما يفتقون كهذه الدابة، ألا ما أحقر الكفر، وأسوأ تصويره للوجود!

هؤلاء (١٧) وأخذ الناس يوم يأتيهم القديس ليخبرُ الذين ظلموا ربنا أخيراً إلى آخر
قريب ليُجيب قلوبنا ويُنقذ الأرواح... (١٨)

إن الإنسان يتحول إلى وحش كثر عندما ينسى الله ويلمح الآخر ، لا سيما إذا
كان هو واضح القانون ويطبقه ، إن القانون يوصف بحرس الأوباء ويحتاج الضمائم ،
وقد رأينا كيف يبدأ الشعب الأنطاكي ويحس وجوده فوق أرضه ، ويبدأ بأبواب
مؤمنة من اليهود لتحتل بوق اعتراضه ، والقانون لا يدرى حكمه لهم ، لأن ملاك القوة
يؤيدون ذلك ، وأجهزة الامنية قادرة على إبطال الحق وإحقاق الجاهل . ١٠

إن العرائز المهاجرة ، والمعاداة المسيحية ، واللوريات لرومية تعوم الحق في دنيا
الناس ، وقد نظرت إلى جميع المستشرقين - وهم قوم ذو ثقافة واسعة - لغتهم
ضخائن غبية ضد دمحم (ﷺ) ، فافاجوا عنه أنه كثرى جنسه محب للنساء ...
إن هؤلاء المستشرقين قروا في العهد القديم أن سليمان جمع في هضمته ألفاً
من النساء ، سيمعالة من الحوراء والامهالة من الإماء ، فهل كان لدى دمحم عشر
ما عنده؟ لا ! نصف العشر؟ لا ! ربع العشر؟ لا !

ومع ذلك فليمان نبي حكيم ، ومحمد دون ذلك !!

وتبدأ الاعتماد الذي لسليمان تسبح فيه ميجات الباحث عن الحبيب المجهول أو
المسلم ، أما قرآن دمحم فليس في طوله وعرضه إلا جوار

يدفع البشر إلى زعم ، ويذكر يرم لشأه ، ومع ذلك فدمحم لا يوحى إليه ،
والأشواق وراء الحبيب الشدود هي الوحى المعموم ، ما قيمة العلم إذا لم يكن معه
إنصاف ولا عدالة ؟ إننى أمتق الذكاء ، والفتاة السفة ، وعندى أن امرأة
حماة غافلة أشرف من موسى عبقريه ، وأن رجلاً ساذجاً يعرف ربه أشرف من
خبير في الليرة يبيع نفسه ؟

وقد أنهم ما يعينهم ليرسل الكرم فيما روى عنه : «انظر اسرع إلى شقة القراء منيها إلى
عبدة الأصنام ، فيقولون يسايلنا على عدة الموتى فيلن لهم ليس من علم كمن يعلم» (١٩)

والخصارة القبرية ، كما قلنا آنفاً ، اتسع عليها وساق أدبها ، أو طالت ثقافتها
وصبرت تربيتها ، فهي الآن تصنع أجيالاً لا تعرف إلا الحياة ليومها فوق هذا التراب ،

(١٧) المزمع ٤٣ - ٤٤ .
(١٩) المزمع ٤٤ - ٤٥ : «وعلى غرات له منده من الصحيح»

فليجاري هو المحدث الأول ، وأبو حنيفة القفيه الأول ، ولكن البحري المرمى
الأول ، وسبويه النحوي الأول ... الخ ولم يشر الصوريون بأى ضيق من أن يقدمهم
دفنوا في مركة الهائلة ضد التزوير بين جلوت ، وما جازهم حرج في أن يقدمهم
صلاح للدين ضد الصالحين في جلوت .

إن الإسلام محا لغوات الجنسية في أغلب المبادئ ، رولط للناس بتلهم العملية
وحملها !

أما الجنس الأبيض ، وراثته الغازية والكتشف ، فقد كانوا يجلون أنفسهم ،
ويقدسون مصالهم ولا تحكمهم إلا شرعة الفايلا

ارتدع الإغليز أسترباليا فساقا فعلموا بكانها (٢٠) شرعوا يظلمونهم من مكان
إلى آخر حتى حصلوا جمهورهم ، وأخبروني صديق قادم من أسترباليا أن البيض
يبرزون أربدا لغمر هؤلاء السكان الأصليين حتى يقفوا عليهم القضاة ، الآخر ،
ويبقى أسترباليا للمغتربين المسلمين بالتقدم العلمي والمناخى ، المجردين من كل
رحمة ولأبداً ... ١٠٠

إذا كان سكان أمريكا الأصليون أسعد حقاً من أسترباليا ؟ لقد تجمعتهم حرب
الإفادة من بلد إلى بلد ، وكان الاكتشف الذى يسجل رقه للنقب ينظر ، فلوذا وجد
هذبا أصغر على رأسه فاتح من ذهب ، قطع الرأس ، وصاد بالفاتح ١٠٠
قد يقال : كان ذلك في الأيام الأولى لاكتشاف العالم الجديد ، وقد أوقعت الحرب
الشيخة ، ووصفت بما كان يقبله المستعمرون الأولون ، واستكروا

ونحسب أن الاستهالة بالاجسالى الأخرى كانت وما زالت ديدن الرجل الأبيض ،
وعندما أعوزنا الاتصال السريع ضد البيان الذى قبلتين سيدتين على خبروشينا
وانجازناكى فتدل نصف مليون إنسان بين طفل وامرأة وبنسخ وكتاب ، ولا ريب أن
عشر هؤلاء الهلكى فقط هو الذى كان يحكى أن يبعد في الغرب . ١١

الأساة أن هؤلاء «التحضرين» ارتقوا علمياً وخطوا خائفاً ، وأنهم عبيد المآثم
المأجلة ، بأن الفكرة من يوم للبيروت غامضة أو معدومة لديهم ، أنهم لم يسعوا
يربوا ، يقول لهم : لو لا تحسبن الله غلاماً عسا يعمل الطالبون أسداً يخرعهم يفرم
تفخض فيه الانتصار (٢١) مبهطين متعني زعيمهم لا يؤيد إليهم طرفهم وأقيدتهم

٤٥ لماذا كانت المذاهب الفقهية الخمس هي الأربعة، وما ضرورتها؟

أتمت الفقه الإسلامي المشهورون أربعة ، وقد كانوا قديماً ضعف ذلك مرة أو مرتين ، بيد أن الدين وسخت مكانتهم وخلد ذكرهم أولئك الأربعة ، الكبار أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل !

أكان ذلك لمصادفات عارضة أم في وقت سنة البناء للأرض ؟ لا تمنعني الإجابة وإنما يعني القول بأن أولئك الرجال الأربعة كانوا قسماً في التقوى والبرقة ، والنصح للأمة ، وإقصاء مناهج الرغبة والرهبة مع كل حاكم مهما امتدت جلوتها وعظمت سلطته ..

والخلاف الفقهي أول أمره كان علامة صحة ، ولا خسر من يقاله إلى آخر الدهر مادام لا يعمل حدودها وحدوده هي دائرة الأعدال القوية .

أما أركان الدين ومعلم الإيمان ، ودعائم الأخلاق ، ومبادئ الشريعة ، فهي موضع اتفاق بين خاصة المسلمين وعامةهم ...

والذي ضمهم الخلاف الفقهي ، وشغل الناس به على نحو مستهجن أمران :

أولهما : جهول النوراء ، وفتح الواحد منهم بحكم عرفه ، ومعالاه به كما يقول الناس في مصر : « الكمكة في يد النسيم عجب » ، ولذلك ترى هؤلاء يقدّمون فقه المفضضة والاستشاق على رعاية العهود والأمانات وهذا ضلال مبين .

والأمر الثاني : طول أجل القصد السياسي في تاريخنا ، فقد أفسد الألسنة عن الكلام في الفقه الإداري والمستوى والدليل ، وضمانات الشورى والمال العام ، وأخرى أهل البطالة بالشرقة للملة فيما وراء ذلك حتى جعل جماهير تهتاج لقصبة نوبع الدين في أثناء العصاة ولا تحرك بقية انفسهم الاستعبد النير . وهو الأسباب التي جلبته ..

ولو تعاون المسلمون على تنفيذ ما تنقوا عليه ، وهو لب الدين وجوهرة تنالهم - لكان الخلاف فيما وراء شيئاً لطيفاً وفريفاً ، ومعلم تراسم لا خصام .

والأزمة الأربعة كما أسلفنا القول رجال كبار ، لكنهم ليسوا معصومين ، ولا فرفض أحدهم نفسه على الأمة ، ولا كافلتها شرعاً باتباع واحد بعينه منهم .

وتؤمن أنها لن تحيا مرة أخرى أبداً ، ومن هنا غلب عليها هذا السعاس في التماس الوجود ، والركض وراء الفقد ، والمطرد على من وجد ، والارتداد على من فقد ... إنها لا تؤمن بالله واليوم الآخر ورجال الدين مشغولون بسخائهم القديمة إن كانوا هودا فهمهم الأكبر امتلاك أرض اليعاد كما يحملون ، وإن كانوا نصارى فهمهم الأكبر استعادة قبر المسيح والثأر عن أخذوه في العصور الوسطى ..

وما يبدو في ذهنهم تعاون عام لإبقاء الأرض موصولة بالسما ، فهل هذا تقدم علمي أم نجاح للفرات الهائلة والأغراض الدنيا ؟ ...

على أن القرون الأولى لم تتحل من علم أثارت به الأرض . وزنت به الحياة والشكور هو انعدام التوازن في أية حضارة بين جوانبها المادية والأدبية ، لقد بنى المصريون الأهرام ، والبناء في ذاته ليس عبثاً ، وثنا العيب أن تهلك أسرة في سبيل بناء مقبرة الملكا وبنت عاد قصورها شامخة ، وأبراجاً عالية ، فإذا اصطلم فرقيتها أحد سحقته ، وأغراما جبروتها بحرب الإبادة ، فكان من نقصن القرآن عنهم ... أتنبون بكل ربع أية تفسرون (١٢٤) وتضخرون مصانع لتكنم تخلدون (١٢٥) وأذا بعثتم بعثهم جارين (١٢٦) فاقفوا الله وأطيعون (١٢٧) .

ورفض هؤلاء وأولئك تقوى الله ، وسماح الناصح الأمين فماداً كانت العقبي ؟ ﴿ أم تر كيف فعل ربك بعاد (١٢٨) ذات العباد (١٢٩) التي لم يخلق مثلها في البلاد (١٣٠) ونمرد الذين جاورا الصخر بالواد (١٣١) وفرعون ذي الأوتاد (١٣٢) الذين طغوا في البلاد (١٣٣) فأكثروا فيها الفساد (١٣٤) فصب عليهم ربك سوط عذاب (١٣٥) إن ربك لياتر مداد (١٣٦) ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١

وفي لغة الأسرة تفتر شريعة الخلق، ولا تترك لنا المصلحة، وإنما كان القضاء بأمر رجال الشرطة باعتقاد الرعية المكونة إلى بيت زوجها تسلمه جسدنا

ومل الخلق طلاق أو فسخ لعقد الزوجية خلاف بين الفقهاء، وظاهر القول أن الخلق فسخ؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿وَ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ (١) ثم يقول: ﴿فَإِذَا طَلَّقْتُمُ الْمُتَزَوِّجَاتِ أَنْ تَسْرِجْنَ بِهِنَّ فَإِنْ كَانَ تَرْجِيهِنَّ مِنْكُمْ فَبِعَقْدِكُمْ وَلَوْ عَمَّ سَتَرْتُ لَكُمُ الْكَيْدَ بِنِكَاحِ الزَّوْجَةِ فَلْيَسْرِمْنَ﴾ (٢) فلا يعمل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره (٣).

وقد توسط الخلق أحكام الطلاق بقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ فَلَا تَحْتَاجَ عَلَيْهِنَ فِتْنَةً إِذَا طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ أَنْ تَدْرُسُوا فَخُصُّوا وَأَقْرَبُوا مِنْ أَوْلِيَائِهِنَّ وَلِلْمُتَزَوِّجَاتِ أَنْ يَرْجِعْنَ إِلَى آبَائِهِنَّ بِإِذْنِ آبَائِهِمْ وَلَا تَحْتَاجَ عَلَيْهِنَ فِتْنَةً إِذَا رَجَعْنَ إِلَيْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٤).

فظاهر أن رد المرأة للسهر الذي قبضته عود في العقد يحكم القضاء بالفسخ. ويرى آخرون أن الخلق طلاق، يأتي الحديث لورد الإيهام عليه، والى أني جازي في ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ فِرَاقٌ فَقَدْ لَبِثْتُمْ بِالْحَبْلِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥) على نكحكم وأقيموا الشهادة لله فإنكم يوعد به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر (٦). كيف يكون الإيهام ناقلة مع هذه التوكيدات؟ ويطلب على ظني أن التعليل الذي ضامت المرأة من قدم لها دخل كثير في هذا الاصطراب.

إن التحقيق العلمي يوجب احترام شريعة الخلق التي أصطلت، كما يوجب ضرورة الإيهام على الطلاق.

وترى لغة الأسرة إلى طرف من لغة العبادات، إنني قبضت روحاً من الزمان أعمل في الساجد، ورأيت مظاهر الخلاف بين الأئمة الأربعة: هذا قبضت في الآخر وذلك بعصمتها هنا يعلى نائكة قبل العرب وذلك بأبيها هنا يعلى السجد في أثناء الخطبة وذلك يحلها هنا يقترافاً لغة الكتاب وراء الإمام وهذا يقتضينا هنا يقضي بيده إلى سرته، وهذا يقضيها إلى صدره، وهذا يسلمها إلى جنبها.

وقال لي صديق: أيسرك هذا التنازع؟ قلت: كنت أوتر وحدة الصورة، لكني أبع الوضع كما ترى، لأن عبادتي بالترسيع أكثر من عبادتي بالشكل، لأن هناك وجهات نظر فقهية محترمة وراء هذا التنازع، أكثره الاصطدام بها ١٠٠٠.

(١) البقرة: ٢٢٢. (٢) البقرة: ٢٢٠. (٣) البقرة: ٢٢١. (٤) البقرة: ٢٢٢. (٥) البقرة: ٢٢٣.

وإنا نحترمهم، والقول رسول الله ﷺ: ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويعزحه صغيرنا ويعترف بعلمنا حقه.

وأجاب أن أمراض نتائج متناهية للخلاف للفقهاء، تروى إلى طبيعته وعلمه، أما التفاصيل العلمية لأسباب الخلاف فقد شريح في أماكن أخرى.

هل التعاقب الكلاسيكي قبل شهادة بعدما تم توبته... من الأئمة من يرفض شهادته أبداً وإن تاب، وضمن من يقبلها بعد توبته.

وأصل المسألة تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمِزُونَ الْمُطَّعِنِينَ ثُمَّ يَنْتَوِيذُ بِهِمْ لَا خِيَارَ لَهُمْ فِي شَهَادَتِهِمْ أَبَدًا وَكَانَ قَوْلُهُمْ لَا تَقْلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأَرَاتِكُمْ هُمْ الْقَائِمُونَ﴾ (١) إلى الذين تأتوا من بعد ذلك وأصغرهم (٢).

قال البعض الاستثناء وقع من الوصف بالفسق، ورفض الميراث من الشهادة على الخائبة. وقال آخرون: بل الاستثناء يلحق الجملة معاً، وقبل شهادته ليكن هذا أو ذاك، فلا حرج على فهم ١

والخائبة من جريمة قطع الطريق، إذا استسلموا قبل إلقاء القبض عليهم، وقبل توبتهم وتسقط عقوبتهم لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَأْتُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْبُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَتَوْهُمْ وَقَبُورُهُمْ فِي الْأَرْضِ فَغُورًا﴾ (٣) فهل يسقط الحد ضمن ارتكاب جريمة السوء، فأعلموا أن الله غفور رحيم (٤).

أو التزني؟ إذا تابع؟

من الفقهاء من أصمل القياس، واستشهد بالسنّة، وأوقف الحد، جاء عن أنس بن مالك: كنت عند النبي ﷺ فجاه رجل فقال: يا رسول الله، إنني أسيت حداً ناقمه على: قال: لم يسأل عنه - فضررت الصلاة - فسل مع النبي ﷺ، فلما قضى النبي الصلاة لم يبه الرجل، فقال: يا رسول الله، إنني أسيت حداً قائم على كذب النبي ﷺ، قال: ليس قد صليت معك قال: ليس، قال: فإن الله عز وجل قد عفر لك ذنوبك!

ومما فقهه آخرون يرون ضرورة إقامة الحد وانقياد القياس، ويؤكد الحديث الواردة: لكل راية ولا ترتب على أحد ١.

(١) البقرة: ٢٢٤. (٢) البقرة: ٢٢٤. (٣) البقرة: ٢٢٤. (٤) البقرة: ٢٢٤.

٤٦. ما مدى حرية الفكر في الإسلام، وكيف نوفق بينه وبين قتل المرتد؟

هناك فرق بين حرية القول وحرية الشئ وحرية العمل وحرية الإبداء أنا أقول ما أشاء وأفعل ما أشاء، ولكن تقف مشيتي عندما تبدأ حرية غيري وحقوقه .. وقد اقتصمت بأن كمال الإنسانية وارتقاءها متوطان بوفرة الحريات الصحية، واستقامة كل إنسان أن يتمتع بها دون مشاركة أو انقياد .. وقد قلنا في فصل مضى: إن حرية المرء هي لوجه الآخر لعمدة الله وحده، فالذين حقنا رحل نخفي من حياته وجهه للمواثيق، ويقول ويعمل غير مكتوث إلا برضا الله وحده .. وحرية الفكر هي المهاد الأول، أو المهاد الأوسع لمعرفة الله، واستكشاف عظمته، وتقدير حقوقه، وإدراك هداياته ..

عندما أسرح بعضي في الزرع والشار استجابة لأمر الله، ﴿انظروا إلى ثمرة إذا أنعم ربكم﴾ (١) فإذا أصبح الله وأحمده وإن لم يتحرك لسانى بكلمة! قد يكون هذا التسبيح الصامت معادلاً لركعتين من التوابع، وربما غا وأضحى معادلاً لركعتين من الفرائض، وذلك حسب قيمة هذا الفكر.

قد يكون تحية إعزاز لمن أيزز الحياة من الوفاء، وأخرج لؤلؤنا وطمعنا شتى من أرض داكئة هادئة!

وقد يكون - إلى جانب ذلك - عناية بالخصائل الناجمة، وتكثيراً لها، ودفعاً لآفات عنها، ونفعاً لعباد الله بها ودراسة ذكية للثيرة، وطبيعة العمل فيها واستكائيات الإفادة منها ..!

المهم في الجو الديني الصحيح ألا أنقل العقل بما يؤوده عن الفكر الشمر، أو هذا التسبيح الصامت ..

(١) الأنعام: ٩٩.

للمشكلة ليست في هذا الخلاف الفقهي، إنها فيما وراءه من غلو وتعصب، فالذي يمنع الفتوى في القجر وبعض جماعة قاتنين يظن أنه استنفذ القلم من برائن اليهود ومنع بدعة تقود إلى التاراك

المشكلة في الضحالة الفكرية والضعائين النفسية التي تتلف أرواح الناس، وهي أقات تفسد الطاعات ولا أحسب أن صلاة تقبل معها!

إن هؤلاء المتعصبين يعيشون داخل حجب سيكئة، كما يعيش الكتكتون داخل قشر البيضة قبل الفقس لا يرى أرضه ولا سواه إلا هذه الدائرة الضيقة ...

والذين يدعاه غير هذا، الذين لا خلاف في عناصره قلب خاشع وفكر فاضل، ومبادئ مبرجة في تقبل المرء على ظهور الأرض منذ رعد إلى أن يلقي ربه!

ليختلف المسلمون في الفروع العملية وراء أئمة أربعة أو ثمانية، فالخطورة لا تنشأ من الخلاف الفرعي، إنما تنشأ من فساد الأقدمة والألباب ...!

على أن الخلاف يحسم، ويختار رأي واحد حشماً للأموال والأعراض! وشؤونها الإدارية، وقوانينها الحاكمة في الدعاء والأعمال والأمر بالدولة

لتعرض أن فقهاء يرى أن طلاق البدعة يقع، وبقائها آخر يرى أن طلاق البدعة لغو، فهل تقف أجوبة الدولة في انتظار غلبة أحد الاتجاهين؟ إنها لن تدور أبداً والحالة هذا

والبات الطلاق لا بد من تدوينه في سجلات ومن رعايته في النسب والتوارث! ومن حق الدولة أن تختار مذهباً فقهاء لتدبر الأمور على أساسه، وتحفظ الحقوق

وفق نصوصه ..

هل المخدرات خمر يعاقب على تناولها أم لا؟ من حق الدولة أن تختار مذهباً فقهاء تجرم به تناول المسكرات والمخدرات جميعاً، وتعمل المناهب الأخرى.

ويطرد الأمر بالنسبة إلى قضايا القتل مع اختلاف الدين، ومع اللباسات الأخرى.

ويمكن أن يتغير القانون، وأن تترك الحكومة مذهباً ويؤثر عليه آخر، وذلك وفق نشاط الاجتهاد الفقهي ووزن الناس لصالحهم المتجددة، وذلك ما نشرحه في فصل

آخر إن شاء الله.

مستحورقة فلما تركهم الخوارج يخبرون لشأنهم وقال الإمام الفقيه : إن القرآن يقول : **فَوَرَأَى أَنَّهُ يُدْعَى مِنَ الْمَغْرِبِ** استجارك لأخوة حتى يسمع كلام الله ثم أتبعه ما لم (١) فأنصرونا كلام الله وألبونا ما لمنا . ١١. وقمل الخوارج ذلك ، وبها أبو حنيفة ومن معه من الثقات . ١

والفقيه تستدعي التأمّل ! ولئن كانت مشار رتبة عند اليقضى ، إن التاريخ الإسلامى يعقد دلالتها ، ويكشف عن الملة في بقاء الطوائف الكافرة بالإسلام وسط بحر مائج من الأم الإسلامية ، ما لا نظير له في الفترات كلها . ١٠٠

وتسامن بعد تلك الاستعراض : هل من حرية الفكر أن يسلم رجل ليتزوج امرأة مسلمة ، وإلاّ لا ميثاق معها وكملت عاقبته دعيا يرجع إلى دينه الأول . ٩٠
أو من حرية الفكر أن يتصل شخص بأعداء أمته ، ويتقل إليهم أسرارها ، ويتألمر معهم على مستغيبها ؟

إنه لا بد من التفريق بين الميثاق بالاديان أو خيانة الأوطان وبين حرية الفكر أو قالها شامعة بين المعينين !

وقد ذكرنا في موضع آخر كيف أراد اليهود استغلال هذه الحرية المتاحة القريب الإسلام وصرف الناس عنه ثم وقّلت طائفة من أهل الكتاب آمورا بالذي أنزل على الذين آمنوا رجة النهار واكتفوا آخره اللهم يرجعون (١٢١) فهل نرضى جماعة تحرم فيها أن يقع هذا الميثاق أو يتجح هذا التلاعب ؟

إننا نريد أن نشرح حقيقة الارتداد ، وسر الموقف الحاسم منه

معروف أن الإسلام عقيدة وشريعة ، أو بتعبير عسرى دين ودولة ، والدولة التي تقبها الجماعة المؤمنة مكلفة بما تكلف به الدولة في أرجاء الأرض ، فهي تتشر الأمان وتحمي وفق شروطها الوحى بها من الله تبارك وتعالى

وهي تلقع المشركين وردد المعتدين مستبشرة لهم ببواعث اليقين وحب الاستشهاد وسائر نعماتها الدائمة الأخرى

(١) توبة : ٦٠ (٢) آل عمران : ٧٦ .

ولتين الخشوع والقاسد شديد الهبادة في صرف المؤمنين عن العمل العطفى والفسى ، وتطيقهم بأنشكال ورسوم وألوان ما تزل الله بها من سلطان .
مع أن هذه الأعمال ركن في الإيمان ، وفيرها إسباغ ، ولما تناول لا تقبل إلا بعد اكتمال الفروض .

ليس هذا استعرا ، وإنا هو بيان القيمة الحرة الفكرية التي لمجدت الآيات في القرآن الكريم لتقربها وتكفيها ولكننا للأسف لم نحسن فهمها ولا لبيان عليها . .
وقد نظير أسلافنا بأعباء كبيرة من تلك الحرية العقلية كانت وراء تفوقهم الحضارى وسدادتهم العالم زمانا طويلا . . .

ورأى أن هذه الحرية خرجت على نفسها أو تحولت إلى فوضى خلقية في بعض المبادئ ، فليس من حرية الفكر أن يبتدأ أبو نواس خمرياته ويفرض شذوذه على الأجب المروى . . .

وليس من حرية الفكر أن يشغل العقل الإسلامى بالبحث في ذات الله .
مناظرا بالعلمة الإفرقية - ويترك البحث في المائدة وتعضتها ، ويعدى أن الجانب العلمى في ثقافة ابن سينا ألح وأضرنا من الجانب الفلسفى وأن الحرية الفكرية مقبنة انكسفت حيث يجب أن تغد ، واستندت حيث يجب أن تنكش ، على أنها اعطت في العهود المتأخرة ، وكانت قوت ، وذلك تبعاً لاضمحلال الحرية السياسية في حياتنا العامة ، وقلة الحكم الفردى .

والجربات كالقذائف يقرى بعضها بعضها وبما يصبه ، ومع ما أصاب الجربات إجمالاً من ظن ، فإن الحرية الدينية بقيت قوية وعاشت في ثلاثاء طوائف اليهود والنصارى والباطنية دون حرج ، وما أصعب داراً أخرى غير دار الإسلام ، يقع فيها هذا التسامح ! لقد كانت الحرية الدينية أعمى الجربات على النفس ، كان عرب السن يتعاينون ويرخص بعضهم لم بعض ، وكان يهود السن مرمض الزمام معصونى إحقاقاً وتوقراً وأزوين حتى الحقوا بأمرائنا !

ومن الطرائف التي يحكيها الأدباء أن الخوارج اعتدوا نكراً من الناس ، وأجروا أن ينعروا هويتهم ، وكان فيهم أبو حنيفة ، فأسرع يجيب الخوارج : نحن مشركون

فهل قتل أبو نؤاس، أو غيره بتهمة الردة؟

واضطر صلاح الدين الأيوبي إلى قتل صوفى يدعو إلى مبدأ وحدة الوجود وذلك، لأن عصابات الباطنية التي اعتنقت المبدأ، تعاونت مع الصليبيين المهاجمين على شرب الدولة، وكانت حصون الحشاشين شوكة في ظهور المجاهدين الذين يقاومون الغزو الأوربي الميتا.

فلم يجد القائد الإسلامي بُدّاً من تطهير الجبهة الداخلية، وإزالة كل من يعرض مستقبل الإسلام للضياع، في حرب حياة أو موت...

ولا فإن كتب كثير من رجال التصوف ملأى بفكرة الوحدة، وقد ترك العلماء أن يناقشوها بغيرهان وحده!

وقد لاحظت أن كثيراً من أهل الشفغ بتكفير مخالفهم، يتخبرون من آراء الفقهاء ما يحلو لهم، ويجهلون التراب على غيره، فلما تار كلام في عقاب تارك الصلاة كسلاً، لم يذكروا إلا أنه يقتل حداً أو مرتداً، ومعلوم من الفقه الحنفي الذي حكم الدولة الإسلامية قرونًا طويلة، أنه لا يقتل حداً ولا مرتداً، بل يؤخذ بأساليب أخرى إذا جدد الحكم المعلوم من الدين بالضرورة...

إن الارتداد - كما شرحنا - خروج على دولة الإسلام بغية النيل منها ومنه، والائتبان عليها وعليه، ومقاتلة المرتدين - والحالة هذه - دين...

والسؤال الذي نورد: هل يطلب من هذه الدولة أن ترضى خطوط الدفاع في الداخل والخارج، وأن تدع من شاء حراً في نشر الفتن وتزقيق الصف وساعده العدو وخذلان الصديق؟ أم لها أن تضرب على أيدي الخونة حتى يبقى كيانها سليماً؟

إذا كانت الدولة الشيوعية تقيم التعليم العام على الإخاد، وتنفى أو تقتل من يريدون بناءه على الإيمان، فهل الدولة الإسلامية وحدها هي التي تطالب باحترام الإخاد، والإسراع في إجابة مطالبه باسم الحرية؟ أم يتسلط لها بعد ذلك كيان؟ قد ينصرف امرؤ فيشرب خمرًا أو حشيشاً، هذه معصية نرجو لصاحبها المتاب ثم نؤذبه بما رسم الإسلام هل يستوى هذا المسمى مع رجل يدعو إلى ترك تحجاة الحشيش حرة، وإلى فتح المحلات دون عائق؟

قد يواقع امرؤ منكرًا في بيته، من وراء جدارا هل يستوى هذا مع آخر يجهار بياحة البغاء، وترك الغرائز تنفث كيف تشاء، ويرى أن الشلوذ لا حرج فيه، وعلى المجتمع الاعتراف بعقد بين شخصين من جنس واحد؟

قد يتكاسل امرؤ عن الصلاة، فهل التارك للشهوان يستوى مع آخر يهاجم فراقت الصلاة والصيام، ويقول: إنها تعطل الإنتاج؟

إن الارتداد نقض متعدد متبجح للأسس التي يقوم عليها المجتمع، وللمستور الذي تقوم عليه الدولة، والزم بأن هذا السلك سائق زعم سخيف.

وتتردد خطورة الردة على كيان الدولة إذا علمنا أن الغزو الشفاني ظهير وتأييد للغزو العسكري، وأن أعداء الإسلام يرون محور شخصيته في الداخل يقنون من الخيل، وأن الاستسلام لذلك هو استسلام للذبح...

نحن نرفض كل عائق أمام حرية الفكر، ونضع كل عائق أمام حرية الهمد، أي أمام تقويض الإسلام شرعية وعقيدة...

وعندما ننظر إلى تاريخنا الإسلامي الطويل نجد أن قتال المرتدين إلى آخر رقم ثم دفاعًا عن الدين والدولة معاً، وما سمعنا برجل قتل مرتداً، لأنه ترك الصلاة مثلاً.. بل على العكس رأينا أباً نؤاس يرفض من يلومه في شرب الخمر، ويقول في وقاحة:

دع عنك لوموس فسان اليوم أغصاء

وداؤني بالشفى كانت هي السداء !!